14 me Année No. 672 — Lundi—20—5—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — ٢٠ مايو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

آفة الشرق هذا الغرب !

يخيل إلىّ من هول ما أسمع وأرى أن هذا الغرب قد مُسخ حوتاً من حيتان الأساطير له رءوس أربعة قد فغر أفواهها جميعاً على الساحلين الأفريقى والأسيوى ، يريد أن يطبق فكوكها على العالم العربى بأسره ، وإنما عوّق هذه الحلاقيم عن الازدراد هذا الخلاف الصاخب بين تلك الرءوس على الاقتسام كيف يكون، وعلى الالتقام متى يبدأ ! وإذا تصورت أفواج السمك حين يسوقها التيار إلى شبكة الحوت فتجزع وتضطرب ؛ تصورت أمم الشرق الصغيرة وقد روعها هذا الوحش الهائل وهى وادعة فى ظلال دينها ، قانعة بحلال الرزق من أرضها ، فتنظر إليه نظر المقضى عليه ، تستنجد بالعهود فلا تنجَد ، وتستغيث بالمواثيق فلا تغاث ، وترى بين منخَرى الحوت تشرشل جالساً وقد انقلب سيجاره الفخم بين شفتيه مدفعاً ضخماً يقذف بالحمم السود على أرض (العلمين) وعلى ظهرها وبفضلها كتب الله له المجد ولشعبه السلامة !

تشرشل هذا الذى وقف ذات يوم على الساحل البريطانى يستقبل الهزيمة الساحقة الماحقة من دنكرك وقلبه واجف ودمعه واكف ، يضرع إلى الله أن يثبت قدميه المجوزين المتخاذلتين أمام الإعصار النازى الجارف ليعيد نعمة الحرية إلى الناس ، ويقيم ميزان العدالة فى الأرض ؛ فلما تمت له المعجزة ، وقتل هتلر كما قتلت البعوضة النمرود ، قام اليوم يدعو أمريكا إلى شركة أخوية بين الناطقين باللغة الانجليزية تصوب أسهمها المراشة إلى كل دولة تطلب المساواة ، وإلى كل أمة تريد التحرر ، لأن الذى ورث ملكوت هتلر وسلطانه ، يجب أن يرث كذلك عنصريته وطغيانه !

تشرشل هذا الذى كان كلما لكمه هتلر بجُمْع يده الحديدية لكمة الموت، خر فاقد القوة والوعى كالثور المنزوف، فيدركه المرحوم روزفلت ، فيجلسه ويسنده ، ويمسح الدم عن وجهه ، وينفض التراب عن جسمه ، ثم ينضحه بالماء حتى يفيق . فإذا أفاق قام مترنحاً إلى الكنيسة يصلى ، أو إلى المذياع يستغيث ، أو إلى مجلس العموم يبكى ، أو إلى البيت الأبيض يستجدى ، أو إلى المحيط الأطلسى يستوحى السماء رسالة العدالة الاجتماعية فتنزل عليه ألواحها المزيفة من سجّيل ؛ هذا الرجل الذى نجا لأن عمره طويل ، وانتصر لأن جهده قليل ، يتبجح اليوم بالعصبية والامبراطورية والدومنيون ، ويألم أشد الألم لأن وزارة العمال قررت إجلاء الجنود الانجليزية عن مصر بعد أربع وستين عاماً جثمت فيها على صدرها المكروب ، فلا تنسم إلا كما ينسم المحتضر ، ولا تتحرك إلا كما يتحرك المبهوظ ؛ والمستر تشرشل يعلم كما يعلم كل الناس لماذا دخلوها ، وكيف احتلوها ، وكم سجلت مضابط برلمانهم العتيق وعود أسلافه بالجلاء عن بلد لم يملكوه بالفتح ولا بالإرث ولا بالهبة ، وإنما فرضوا لأنفسهم عليه (حق ارتفاق) بالمرور ، ثم جعلوا احتلاله واجباً لحماية هذا (الحق) ! ثم اختلفت الأسماء على هذا الاحتلال ، من الاستعمار المقنّع ، إلى الحماية السافرة ، إلى الاستقلال الصورى ، إلى الصداقة الجبرية ؛ ولكن المسمى

ظل فى جميع هذه الحالات واحدا ، وهو الوزير الذى يأمر فى (دوننج ستريت) ، والسفير الذى ينفذ فى (قصر الدبارة) ، والأسطول الذى يهدد فى (مالطة) ! !

حتى غيرت هذه الحرب الدنيا ، فتغيرت عقول الناس ، وتبدلت وسائل النقل ، واختلفت أسلحة القتال ، وتغلبت مبادئ الاشتراكية ، وتأصلت فكرة الحرية ، واستحيا بنو آدم أن يظلوا على شريعة الوحوش يحكّمون الأظفار والأنياب فيما يشجر بينهم من خلاف ؛ فاتخذوا (ميثاقا) للأمم ، وألفوا مجلساً للأمن ، وأقاموا محكمة للعدل ، وطمعوا أن يقيموا العالم الجديد على هذه القواعد ؛ ولكن تشرشل وسائر المحافظين لم يكونوا جادين يوم نادوا مع ترومان واستالين بهذه المبادئ ، لأنهم مطمئنون إلى براعتهم فى مماطلة الموت كلما طلع عليهم بمنجله الرهيب ! ومن يدرى ؟ لعل الموت الذرّى فى زيارته القادمة لا يقبل من المخادعين بعد ذلك مطلا ولا ختلا ولا فدية !

لقد كان الشعب الانجليزى بعيد النظر سديد الرأى حين دهور تشرشل وإيدن وأعوانهما عن كراسى الحكم فى صبيحة يوم النصر ؛ فإن من انتصر بالسيف لا يصلح إلا بالسيف ، ومن عشش الاستعمار فى رأسه وفرّخ فى نفسه لا يستطيع أن يؤمن بالديمقراطية والحرية إيماناً يحمله على أن يحبهما فى نفسه وفى غيره ، ويرجوهما لصديقه ولعدوه !

* * *

على أن عذر تشرشل فى موقفه من مصر ومن غيرها ناهض ؛ فإن الرجل ربيب العسكرية والاستعمار منذ درج ؛ ولكنك تكلف العقل شططا إذا حاولت أن تجد بعض العذر لموقف ترومان الرجل الشعبى من فلسطين ! ! لقد دس أنفه فى هذه القضية دساً ، لأن القادر شاءت أن يكون له فى قضايا العالم رأى ! فهل فغمت أنفه رائحة العدل فيها ، أم سطع فى خيشومه عبير الذهب الصهيونى وهو يفيد فى الانتخابات والدعايات ، وينفع فى الحروب والملمات؟ وما ذا يضر إذا نافس الأمريكانُ الإنجليز فى إرضاء اليهود على حساب العرب ما دام الأمر لا يكلفهم إلا إيفاد (لجنة) تبحث وتحقق ، ثم إرسال (حملة) تنفذ وتطبق ؟ أما فلسطين فحسبها من العيوب والذنوب أنها شرقية ، وأنها عربية ، وأنها مسلمة ، فلم لا تكون مشاعاً بين أهل الديانات الثلاث ، ثم تُقتطع إقطاعاً ليهود القارات الخمس ؟ ولا تسل بعد ذلك عن حرية الشعوب وحرمة الأوطان وقدسية الحقوق ، فإن ذلك كلام كان يقرر ويكرر وسيف هتلر مُصلت على الأعناق ، وكابوس النازية جاثم على الصدور !

* * *

واستالين ، ما شأنه والوصاية على طرابلس ؟ هل كان يظن أن انجلترا تترك مفتاح (كرارها) فى يد القط ؟ إنها ترضى إذا حيل بينها وبينها أن تعود إلى إيطاليا ، لأن إيطاليا ريح لا تثير الغبار ، وحمى لا يعوق السائر ! فإذا سألت هؤلاء الذين يحكمون ويقسمون: لماذا تردون المسلوب إلى سالبه ، ولا تردونه إلى صاحبه؟ أجابوك جواب المستعمر الخبير : إننا إذا أعدنا طرابلس إلى أهلها خرجت برقة من قبضة بريطانيا ، وأفلتت تونس والجزائر ومراكش من ربقة فرنسا . وجملها فى وصاية الجامعة العربية لا يخلف عن استقلالها فى الخطر الذى يهدد الجامعة الغربية ؛ لأن الشرق ما دام سوقاً للاستعمار ظلت سلعه المباركة موضع المقايضة والمساومة ! فإذا حررت رقاب العبيد ، وأغلقت سوق الرق ، انقلب المستعمرون إلى ديارهم خاسرين يقتل بعضهم بعضاً من الخوف ، ويأكل بعضهم بعضاً من الجوع! والرد الذى تقتنع به عقلية الغرب ، إنما هو مجابهة العدوان بالعدوان ، ومواجهة القوة بالقوة . وليست الإشارة هنا إلى العدوان والقوة من القول الجزاف ؛ فإن قوتنا الفكرية متى ذهب عنها مركب النقص الذى اعتراها من طول ما ضامها المستبد وسامها الدخيل ، استطعنا أن نقول صادقين لأى أمة من أمم الأرض : لقد اجتمع رجالنا برجالكم فى مؤتمر الميثاق وفى مجلس الأمن ، فهل وجدتم فى عباقرة أوربا وجهابذة أمريكا من يفوق عبد الحميد بدوى ، أو محمود حسن ، أوحافظ عفيفى مثلا ، فى رسوخ القدم فى القانون ، وأصالة الرأى فى المشورة ، ومتانة الحجة فى الجدل ، ومقطع الصواب فى الحكم؟ وأما القوة المادية ، فالعدد وفر ، والإيمان صدق ، والرأى جميع ، والمروءة وثيقة . فإذا أعوزتنا الوسائل تبرع بها من يترقب هذه الفرصة ليكيد ، ويستعجل هذا اليوم ليستفيد !

احمد حسن الزيات

٢ - في مقالين :

هل حاسم لمشكلة الأزهر ، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقا

بينت فى كلمتى السابقة فى العدد ٦٧٠ من مجلة الرسالة ماينجم من اقتراح حضرة الأستاذ مدير المجلة الذى تقدم فيه إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف بإلغاء التعليم الابتدائى من جميع المعاهد الدينية ، وإلغاء سنتين من مدة التعليم بالماهد الثانوية لأزهرية ، وإحلال اللغات الأجنبية وعلوم الرياضة والكيمياء والطبيعة محل علوم اللغة العربية ، ومحل علوم التفسير والحديث والفقه والتوحيد التى يدرسها الطالب الأزهرى فى مدة التعليم بالقسم الابتدائى ، وفى السنتين المطلوب إلغاؤهما من القسم الثانوى .

وقلت إن هذه السنوات الست المطلوب إسقاطها من زمن تعليم العلوم الدينية والعربية فى المعاهد الدينية تعدل نصف المدة التى كانت — إلى زمن بعيد — تؤهل الطالب لنيل شهادة العالمية وألمت إلى ما يكون لهذا الحل المقترح من أثر سيء فى حياة اللغة العربية : إذ تهن قواها ، ويقف نموها ، ويضعف نتاجها ، ويضؤل محصولها ، وتفسد حاسة الذوق اللغوى فى أهلها . ذلك إلى ما يستتبعه الاقتراح من تضييع حصص الدين المقررة فى ست سنين وإلغاء حفظ القرآن ، وفقد حفاظه ، فتغلق أبوابه فى وجوه المسلمين ، ويحجب نوره عن قلوب المؤمنين وتنطمس معالم هدايته فلا ترى للمستهدين ، وتستخفى عن الناس حجة الله على العالمين .

ولقد طلبت من الأستاذين الفاضلين أن يعيدا النظر فيما ارتأياه ويراجعا الرأى فيما اقترحاه ، لعلهما يجدان لوناً آخر من الصلاح يكون فيه للأزهر صلاح ورشد ، ونجاة وقصد ، فيوافيا القراء به . بيد أن ما طلعت به الرسالة علينا العدد ٦٧٠ تحت عنوان (إصلاح الأزهر بين دعاته وأبائه) جاء ترجيعا لما ارتآه الأستاذ أولا ، محاولا فيه أن يوضح ما ظن أنه أشكل من جوانب رأيه على من سماهم معارضين للاقتراح ؛ وأباة للاصلاح ، مستعيناً بسحر فنه ، يبغى منه أن يرسم له تلك الحقائق الملوسة ، والآثار الثابتة المحسوسة ، والنتائج البينة اللازمة للاقتراح ، والتى لا يخطىء فى إدراكها حدس ، ولا ترتاب فى وجودها نفس ، إلا من يرتاب فى وجود الظلام بعد مغيب الشمس — فيصور لك هذه الحقائق ظلا حائلا ، وخيالا مائلا ، ووهما باطلا !

فهذه السنوات الست التى يراد اقتطاعها من المدة المقدرة للتعليم فى المعاهد الدينية ليست نصف اثنتى عشرة سنة كانت قبل كافية لنيل الطالب المجد شهادة العالمية ! وليس لها أثر يذكر فى إعداد الطالب وتزويده بزاد نافع من الشريعة ومن علوم اللغة العربية ؟ ومن ذا يقول إن الستة نصف الإثنى عشر ؟ !

وكيف يزعم زاعم أن هذا الحل الحاسم الذى ارتضاه الأستاذ المقاد يستلزم إلغاء حفظ القرآن ، أو يسلب الطالب الذى يريد أن يلحق بالماهد ست سنوات أخرى كان يقضيها فى حفظ القرآن استعداداً لقبوله بالماهد — كيف؟ وهذا الحل الحاسم يعطى الطالب فرصة واسعة يستطيع أن يحفظ فيها القرآن ، وأن يحفظ غير القرآن من المتون التى لا بد من حفظها لتحصيل ما لا بد منه من المسائل الدينية واللغوية ؟

ألم يأذن له هذا الحل بثلاث سنين كاملة من خمس السنين التى للقسم الذى كان يدعى أمس « القسم الثانوى » ؟

أو ليس فى هذه السنوات الثلاث وفاء بما يلزم له من الوقت لدراسة مواد الثقافة المقررة على أمثاله فى الشعب التوجيهية بمدارس وزارة المعارف حتى يتم للأمة بهذه الدراسة الحصول على حجر الفلاسفة ، فتقبض بكلتا يديها على حقيقة الحقائق ، ووحدة الوحدات ؛ وحدة الثقافة !

أو ليس فى هذه السنوات الثلاث بعد متسع لتحصيل الطالب ما تشتد حاجته إليه من علوم اللغة ، وقواعد الدين وفروع الشريعة ليصير أهلا للدراسة العالية فى كليات الأزهر ، وسيكون أهلا للاجتهاد (حتى لا يظل الأزهر كما هو يملك الكلام ، ويجتر الماضى ، ويقتات الفتات ، ويبطل الاجتهاد ، ويعطل العقل ، ويصم أذنيه عن أصوات العالم وحركات الفلك !)

ثم إن لم يكن فى هذه الثلاث السنين بلاغ إلى الزاد ، الذى

يوصله إلى مرتبة الاجتهاد ؛ ولم يجد الطالب فيها بديلا من الست السنوات التي سلبها ، وكان يحفظ فيها القرآن قبل التحاقه بالأزهر ومعاهده — فهل تظن أن النظام المقترح يكلفه طائلا أو يجشمه أمراً هائلا ؛ أو أنه يعدل به عن قصد السبيل ويسلك به طريقا جائرا ، يظل فيه عمره حائرا ، يهيم في أودية الضلال ، ويخبط بين شعب الخيال ، لا يجد دليلا ، ولا يهتدي سبيلا ؟ ... كلا !

أليس للأزهر الحق في أن يزيد في زمن الدراسة بالقسم الثانوي منه سنة أو سنتين أو ما شاء أن يزيد من سنين يرى في زيادتها فائدة الطالب ، ونجاح التعليم ، وتقدم العلم طبقا لمقتضيات التطور العلمي والاجتماعي في هذا العصر الجديد .

ثم هو بعد أن بلغ الحلم ، وحصف عقله ، مستطيع في يسر أن يحفظ القرآن وهو بحال : يحفظ ما يفهم ، ويفهم ما يحفظ .

وهل على الأزهر من بأس في أن يقبل هذا الوضع الجديد الذي يمليه منطق الحوادث ، وتقتضيه طبيعة الزمن فيضاف إلى رجليه القديمتين اللتين كان يمشي بهما رجلان أخريان من أرجل الثقافة الموجودة بمصانع وزارة المعارف لتساعد التطور ، وبجاري الزمن . وبذلك تتحقق للأمة وحدتها المفقودة ، وتنتفع عزة الإسلام : مرونته ، ومسايرته للتطور ، ومطاولته للزمان ، وذلك من مزاياه المدودة . ثم لماذا يخاف الأزهر من طغيان المواد الدنية على المواد الدينية في الدرس والتحصيل ما دام الوقت متسعا ؛ والأستاذ كفءاً ؛ والكتاب مهذبا ؛ والمناهج مستقيما ؛ وتوزيع المواد دقيقاً ؛ والإدارة حازمة ؛ والمراقبة يقظى .

وأقول إن هذا الذي يذكره الأستاذ حق ولكن :

كيف السبيل إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف
والرجل حافية ومالي مركب والكف صفر والطريق مخوف ؟

وهل توافرت هذه الشروط السبعة في مدارس وزارة المعارف وهي أقوى في النظام وحسن الإدارة ويقظة المراقبة ؟

لا ريب في أن الأستاذ الزيات يرمي بما كتب إلى غرض جليل ، يحمله على الدعوة إليه قصد شريف ، ووجدان نبيل . فأما الغرض الذي يرمي اليه فهو إصلاح الأزهر ليتحقق بهذا الإصلاح أمران عظيمان : وحدة الأمة بتوحيد الثقافة ، وإنشاء جيل من العلماء القادرين على الاجتهاد ، لتجد الأمة في علمهم المثقف ما يحل مشكلاتها الاجتماعية والعائلية ، بما في الشريعة من سماح وما في الدين من يسر . فإصلاح الأزهر هو الوسيلة إلى تحقيق هذين الغرضين الجليلين ؛ وما اقترحه مدير الرسالة ، وآزره عليه الأستاذ العقاد ، هو سبيل الإصلاح المنشود .

١ — وحدة الثقافة :

يرى الأستاذان الجليلان أن وحدة الثقافة ؛ أو وحدة الأمة بتوحيد التعليم — كما جاء في تعبيرهم تتم وتتحقق إذا درست العلوم والآداب في الأزهر على النحو الذي تدرس عليه وبالقدار الذي تدرس به في المدارس الابتدائية والثانوية التابعة لوزارة المعارف .

فأما وحدة الثقافة فإن الأزهر منذ خمسين سنة — على عهد المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده — قد أفسح صدره لما يسمونه اليوم علوم الثقافة : فأدخل فيه علم الحساب والجبر ومبادىء الهندسة وعلم الجغرافيا ، والتاريخ ، والميقات ، والهيئة ؛ وعلى الرغم من أن تعلمها كان على سبيل الاختيار فإن الطلاب قد أقبلوا عليها راغبين حتى كادت تعم جميع الطلبة ، ولعل الأستاذ الزيات كان ممن استوفوا حظهم منها ، ثم أنشأ المغفور له الخديو عباس الثاني معهد الإسكندرية ، واختار شيخا له القاضي العادل والمربي الكبير المغفور له الشيخ محمد شاكر فنهض بالمعهد نهوضا فائقا ، وجعل تعلم هذه العلوم إجباريا ؛ فازدهر معهد الإسكندرية بهذه العلوم إلى جانب علوم الدين واللغة أيما ازدهار . وتطور نظام التعليم في الأزهر : فمنذ سنة ١٩١١ صار تعلم هذه العلوم واجباً على جميع الطلاب . ثم توجهت عناية الملك العظيم المغفور له الملك فؤاد طيب الله ثراه ، حيث وجه عنايته — أغدق الله عليه سحائب رحمته — إلى تنظيم الأزهر وإصلاحه إصلاحا شاملا يعم ناحيتيه العلمية والمادية : فبسط يده بالعطاء الجزل ، وزيد في ميزانية الأزهر زيادة عظيمة ، وأنشىء نظام الكليات وأقسام التخصص ، وعدلت مناهج التعليم تعديلا يلائم الوضع الجديد ، وزيد فيها دراسة علوم الطبيعة والكيمياء ، وعلم الحياة وتوسع في مقرر الهندسة ، وزيد في مناهج الكليات وأقسام التخصص ما يناسب كلا منها من علوم التربية والفلسفة والتاريخ والاجتماع وأصول القوانين حتى

اللغات الأجنبية . وقد كان هذا النظام كفيلا بأن يرقى بالأزهر ويوجد منه علماء إخصائيين لو أنه وجد من يرعاه وينفذه .

ولقد اضطر الأزهر أن يقبل طائعا أو كارها أن يعدل النظام الأساسي للتعليم فيه تعديلا هدّ من قوته وأوهن من علمه وأضعف من قوة الطالب الأزهري في العلوم الدينية ونقص في حظه منها .

فقد كان الطالب الأزهري لا يستحق أن يمنح شهادة العالمية حتى يؤدي امتحانا في علوم الأصول والفقه والبلاغة والتفسير والحديث والتوحيد والمنطق ... ؛ وحتى يجوز هذا الامتحان بجليا ! واليوم تدرس هذه العلوم موزعة بجاميع في شعب ثلاث ! قبل الأزهر أن تشعب رأسه إلى ثلاث شعب حرصا على تثقيف طلابه ليظل باب الأمل في الحياة العملية مفتوحا أمامهم — ثم يدهشك أن تسمع ذلك الصوت البغيض ينبعث من أبواق السوء في وزارة المعارف يصك سمع الزمان بكلمة (توحيد تخريج المعلم) (وحدة الثقافة) (الطالب الأزهري تنقصه الثقافة) (الأزهر في حاجة إلى الإصلاح) فماذا يبغون من تلك الصيحة ؟ وماذا يخفون في هذا النعير ؟

إن كانوا يزعمون أن الغرض هو توحيد الثقافة وصولا إلى وحدة الأمة ، فالأمر مشكل . فإنا نجد الوزارة ترعى عدة مدارس في ظلال نظم متعددة ، وتدير عدة مجاميع من المدارس مختلفة الغاية منوعة الأساليب ، متفاوتة الرتب والإعداد ؛ فهناك التعليم الأولى ، والألزامى ، والتعليم الابتدائي والثانوي والعالي ؛ والتعليم الصناعي ، والتعليم الزراعي ، ومنه التعليم المتوسط والتعليم العالي ، والتعليم العالي أنواع كثيرة في كليات الآداب ، والحقوق ، والطب والهندسة ، والزراعة ، ومعهد التربية وكلية العلوم .

وإعداد الطالب لنوع من هذه غير إعداده لغيره من سائر الأنواع : فإعداد الطالب في التعليم الأولي والإلزامي غير إعداده في التعليم الابتدائي والثانوي . وثقافة هذا غير ثقافة ذاك ؛ وثقافة طلاب المدارس الصناعية والزراعية المتوسطة ليست كثقافة طلاب المدارس العالية ولا هي كثقافة طلاب المدارس الثانوية ، ومناهج التعليم في كل من هذه الأصناف والأنواع غير مناهج الصنف الآخر منها ضرورة السير بالطالب منذ الخطوة الأولى من عمره التعليمي في الطريق الذي هو مستعد لسلوكه في الحياة وإعداده لما هو مستعد له . وهؤلاء الجماهير من الطلاب الذين هم عناصر الحياة في جسم الأمة هم جمهرة الأمة وأعضاؤها العاملون .

فإذا كانت وحدة الأمة متوقفة على وحدة الثقافة ؛ وكانت وحدة الثقافة مستحيلة الوجود مع تعدد هذه النظم وتنوع طريقة الاعداد وتفاوت مراتب الثقافة في هذه المدارس التي تعلم أبناء الأمة وتعدهم للحياة — فمتى وكيف تتحقق وحدة الأمة ؟ ولماذا لا يكون اختلاف هذه الجماهير في التنشئة والتثقيف ، والتكوين الصناعي ، والاعداد للحياة الاجتماعية — مؤثراً في وحدة الأمة ؛ ثم يكون تعليم اللغة والدين في الأزهر (ولو أخذ الطالب حظه من الثقافة) خطراً على حياة الأمة ؛ هادماً لوحدتها .

لقد كان معروفا — وأظن أن الناس ما برحوا يعرفون — أن وحدة الأمة تتحقق بثلاثة أشياء : وحدة الجنس ، ووحدة اللغة ووحدة الدين ، وأظن أن الأزهر قام بحراسة هذه الوحدات الثلاث أو باثنين منها على الأقل مدة ألف سنة ، وبذلك تكون الأمة مدينة له بحفظ وحدتها على الرغم مما تداولها من تسلط الأجانب عليها وعملهم على تفكيك عراها بما كان جديراً أن يمزق وحدتها ، ويبدد شملها ، فاليوم ينعق الدخلاء بأن الأزهر خطر على الأمة مفرق لوحدتها ! ؟

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

محمود أحمد الغمراوي

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقا

(الرسالة) : يمنعنا من العودة إلى مناقشة الأستاذ الفاضل هذا الأسلوب التهكمي الذي يتراءى التعريض من خلاله ، وهذا الالحاح في مسائل تتصل بالزمن والمنهاج بعد أن تركنا ذلك للتطبيق وهو من اختصاص الأزهر وحده ، ثم هذه المقدمات التي سيكرهها الأستاذ على أن تقول : ليس في الامكان أبدع مما كان ! فإن تفنيدها يدعو إلى الكلام في أشياء ليس من البر أن نهتك عنها ستار الماضي لنعرضها إلى سخرية الحاضر . على أن ذلك لن يمنعنا من نشر ما بقي من كلام الأستاذ .

بمناسبة «يوم الجلاء»

إبراهيم بك هنانو قال لي ...!

للأستاذ علي الطنطاوي

هذا إنذار أستحلف كل قارئ من قراء الرسالة في الشام أن يحدث به وينشره ثم يحفظه ... فانه سيجيء يوم تضطره أحداثه أن يعود إليه فيقول: «ياليته قد نفعنا هذا الإنذار، ياليتنا ... ويومئذ لا تنفع شيئاً «ليت» ... إنها لا ترد ماذهب، ولا ترجع ما فات!

وهذا إعذار إلى الله، ثم إلى كتاب التاريخ، لئلا يقولوا إنها لم ترتفع في دمشق صيحة إنكار لهذا النكر، ولم يعلُ فيها صوت ناطق بحق ... وإن كتابها وأدباءها حضروا مولد سنة من «ألمَحَن» سنن إبليس، فلم يقتلوها وليدة ضعيفة، وتركوها تكبر وتنمو حتى صارت طاغوتاً جارفاً، حتى غدت ناراً آكلة، حتى استحالت داهية دهياء أيسر ما فيها الخسف والمسخ والهلاك ... ونعوذ بالله من تذكير لا ينفع وإنذار لا يفيد!

وبعد فقد حدثني صديق لي فقال:

كنت أمس في مجلس، وكنا نتحدث فيما كان «يوم العرض» من «مناظر الكشافات ... ومنظر الأسيرة ... والعروس» حديثَ إنكار وأسف لما كان، ونعجب كيف جاز على رجال هذا العهد الوطني، وهم فيما نرى أهل الشهامة والمروءة والغيرة على الأعراض، وكان في المجلس الزعيم الجليل عضو مجلس النواب: إبراهيم بك هنانو، فرأيته يُعرض عن هذا الحديث ويَصرف عنه، وانقاد له الحاضرون فضربوا في أحاديث أخرى ... فلما انفضَّ المجلس خرجت معه، فعاد إلى يوم العرض وخبره، واختصَّني بهذا الحديث وأذن لي أن أنشره ...

قال رعاه الله: إنك لتعجب كيف تمَّ هذا الخزي، وكيف مرَّ على رجال هذا العهد الوطني فلم ينتبهوا له، وأنا أخبرك بسرِّ ما تعجب منه وقعت عليه مصادفة ... وذلك أني ذهبت قبل العرض بأيام في حاجة لي إلى منزل «فلان» الفرنسي، ومنزله في الميدان الذي يتقاطع فيه الشارعان الكبيران: شارع يوسف العظمة، وشارع كلية الهندسة، فوجدت المنزل كأنه خال، والمتاع مرصوص مربوط، فملَّ التهيؤ للسفر، وكان النور يسطع من شق باب غرفته، فهممت أن أدخل عليه، فسمعت كلاماً وحديثاً، فانتحيت ناحية أنتظر تمام الحديث، إذ ليس من الأدب أن أدخل على متحدثَيْن، فسقط إليَّ كلام لا يستطيع المرء أن يغلق أذنيه عن مثله، ولم يكن استراق السمع من عادتي، غير أني وقفت، وقد أدركت أن «فلاناً» هذا، يتحدث مع «رجل ...» أعرفه من أذناب القوم ومن أعوانهم، وممن رفعوا إلى المناصب العالية، وكانا يتشاكيان الفراق، ويتحدثان وكأنهما يتباكيان. ورب كلمات يقطر منها الدمع! ورب حروف هي قلوب تتفطر! ويتذكران الأيام الماضية، وكيف دارت الأيام، وكان من حديث صاحبنا الشامي الذي سمعته مترجماً إلى لغة القلم ولسان الأدب، قوله:

— لئن كُتب عليكم أن تذهبوا، فانكم ستعودون عاجلاً، ثم لا تذهبون أبداً. على أني سأنتقم لكم، وسأعدّ وحدي العدة لعودتكم. سأصنع في ليالٍ ما لم تصنعوه أنتم في ربع قرن وتسعة أشهر ... سأريكم قوتي. وليست القوة أن تسوق على عدوك العسكر اللجب والمدافع والدبابات تضرب بها قلعته، ولكن القوة أن تأتيه باسماً مصافحاً فتحتال عليه حتى يفتح لك قلعته بيده، فاذا أنت قد امتلكتها بلا حرب ولا ضرب. إني سأدسّ لهم دسيسة في عيد الجلاء. لا أصبر والله حتى ينتهي العيد. إنها فرصة إن لم أغتنمها لم أكد أجد مثلها وأنا أعرِفُ بأهل بلدي، وإن لم يكن دينهم من ديني: إنهم لا يؤتون بالقوة ولا تنفع فيهم، وقد جربتم ورأيتم، فما قتلتم منهم مبغضاً لكم إلّا وُلد عشرة هم أبغض منه لكم، وما هدمتم داراً من دورهم إلا هدمتم معها ركناً من «انتدابكم» عليهم، ولا أشعلتم النار

فى حىّ لهم إلا كانت هـذه النار حماسة فى قلوبهم عليكم ونار ثورة تتعبكم . ولا يؤخذون بالشبه تلقى عليهم فى دينهم ، ولا بالثقافة التى تحمل الإلحاد والكفر تحت عناوين العلم والفنّ ، وما جئتموهم بكتاب هو فى زعمكم هدم لدينهم إلا أنزتم عليكم مشايخهم وجمياتهم ، فهبّوا يدافعون ، فاذا أنتم قد قوّيتم بعملكم إيمانهم فى صدورهم . وما يُنالون بالقوانين التى تبطل قرآنهم ، وقد علمتم حينما جربتم أن تأتوهم بالظهير البربرى مهذبا ملطفاً لابساً ثوب « قانون الطوائف » ماذا جرى عليكم حتى أبطلتموه بأيديكم ، ولا بالأموال التى تشرون بها ضمائر زعمائهم وقادتهم : لأن من هذه الضمائر ما هو كالوقف (عندهم) لا يباع ولا يشرى ولا يوهب ، ولا بأرهاب الزعماء وحبسهم ، وهذا هو الرجل الذى ضربه سنة ١٩٣٦ رجالكم بعصيّهم صار هو رئيس الجمهورية التى تخرجون غداً منها …

فقال له « فلان » الفرنسى :

— ومن أين تأتيهم أنت ؟ وهل تقدر على ماعجزت عنه فرنسا ؟

— قال : نعم . ولو كنتم قد سمعتم منى ماعجزتم . إنى آتيهم من الباب الذى لا يستطيع أن يراه أحد مفتوحاً إلّا ولجه . إنى أحاربهم بغرائزهم فأجعلهم يهدمون بيوتهم بأيديهم ، وأثير عليهم نساءهم وأثيرهم على نسائهم ، وألقى الضعف والخلف فيهم ، فأفسد عليهم رجولتهم ، وأخرّب أُسَرَهم ، وأجعل جيشهم أخشابا قد شغلت كل خشبة بهواها ولذّتها . إنى آتيهم من باب « الغريزة الجنسية » الذى لم تدخل منه أمة إلا دخلت جهنم التى تحرقها ولا تخرج منها من بعدُ أبداً …

— قال الفرنسى : أما أدخلناهم نحن من هذا الباب ؟ أما قلنا لهمَ ، إن تعريض أجسام الشباب والشابات صحة لهم وقوة ، فأبوا وقالوا ، كلا ، إنه تعريض (بالصاد) ؟ أما قلنا لهم ، إن هـذا الحجاب همجية ووحشية ، وإن التقدم والمدنية بالسفور ؟ أما أنشأنا لذلك جمعيات من النساء ؟ أما فتحت هذه الجمعيات مدارس ؟ أما صنعت هذه المدارس أكثر مما صنعت الفرنسيسكان ؟ إننا لم نصل بعد ذلك كله إلى شىء !

— قال الآخر : إن الصبر عند الصدمة الأولى ، فاذا استطعت أن أضرب ضربة واحدة ضمنت النجاح ، وإنى سآتيهم من طريق الوطنية ، سأقول : إنه يوم عيد الوطن ، عيد الجلاء ، عيد الرجال والنساء …

* * *

قال إبراهيم بك :

ثم دخل داخل فتنحيت عن مكانى ، فلم أسمع شيئاً بعد ذلك .

فلما حضرت العرض ، ورأيت الذى كان ، عرفت من أين جاء البلاء . على أن هـذا الرجل وأشباهه لم يصنعوا ما صنعوا حباً بفرنسا ولا إخلاصاً لها . إن قلوبهم أضيق من أن تتسع لإخلاص حتى ولو لفرنسا … ولكن حباً بأنفسهم ، وحرصاً على لذتهم ، إنهم يكادون يُجنّون ، إذ يجدون دمشق لا تزال نساؤها مستترات متحجبات ، ولا يفتأون يسـاءلون أن كيف السبيل إلى هتك هذا الحجاب ؟ لماذا لا نكون كفرنسا حيث لا تستر عورة ، ولا يحجب جمال ، ولا يمنع من لذة طالبها ؟ لقد احتجوا بالصحة وأن الحجاب ضعف ومرض ، فكذّبهم كون المتحجبات أصح أجساماً وأقوى وأبعد عن المرض ، وأن من السافرات مصابات بالزهرى والسيلان وبالتدرن ، وأن الحجاب رجعية وتوحش ، فلم يصدقهم أحد ، فجاءوا هذه المرة فأخذونا على حين غرة وغفلة ، وأفادهم أن كان الناس فى الفرحة الكبرى ، فى عيد الجلاء ، فقالوا للناس : إنه يوم الفرح ، فلتشارك المدارس فيه الأمة ، ليظهر الطلاب والطالبات سرورهم ، ويملنوا عاطفتهم ثم ذهبوا فأعدوا هذه (المناظر) التى كانت يوم العرض ، كبقعة النجس فى ثوب العروس الأبيض …

ألا من كان يظن أن مثل هذا يكون فى دمشق ولا تزلزل الأرض زلزالها ؟ من كان يظن أن الآباء ينسون نخوتهم ؟ وهؤلاء النفر من رجال المعارف ، وهم الأمناء على الطالبات يضيعون أمانتهم ، ويحولون العرض عن وجهته ؟ فبعد أن كان للعزة الوطنيـة وللمجد وللنبل ، صار للشهوة واللذة والغريزة الجنسية ! لقد جعلته هذه المشاهد (مرقصاً) ! … كل ذلك

تقليداً للأجنبي الذي نحتفل اليوم بجلائه عنا ، الأجنبي الذي هزم في الحرب ووطئته نعال أعدائه ، وقد كان له جيش لجب يزيد ألف ضعف عن هذا الجيش الذي نعرضه ، وقد كان له خط ماجينو ، وأمة تعد أربعين مليوناً ، ومستعمرات ... فلم يغن عنه جيشه ولاحصونه ولاعدده لما أضاع الأخلاق وفرط بالعفاف .

لا ، لا تقولوا : « إنه يوم العيد يجوز فيه ما لا يجوز في غيره » فان المرأة التي تسقط يوم العيد ، كالتي تزل يوم المأتم ، والناس يزدرون المرأة (الساقطة) من غير أن يسألوا متى كان سقوطها !

ألا من كان له قلب فليتفطر اليوم أسفاً على الحياء .

من كانت له عين فلتبك اليوم دماً على الأخلاق .

من كان له عقل فليفكر بعقله ، فما بالفجور يكون عز الوطن ، وضمان الاستقلال ، ولكن بالأخلاق تحفظ الأمجاد وتسمو الأوطان .

فاذا كنتم تحسبون أن إطلاق الغرائز من قيد الدين والخلق ، والعورات من أسر الحجاب والستر ، من ضرورات التقدم ولوازم الحضارة ، وتركتم كل إنسان وشهوته وهواه ، فانكم لا تحمدون مغبة ما تفعلون ، وأنكم ستندمون (ولات ساعة مندم) إذا ادلهمت المصائب غداً ، وتتالت الأحداث ، وتلفتم تفتشون عن حماة الوطن ، وذادة الحمى ، فلم تجدوا إلا شباباً رخواً ضعيفاً ، لا يصلح إلا للرقص والغناء والحب ...

فالله الله ، والأمة والمستقبل ... إننا خرجنا من هذا الجهاد بعزائم تزيح الراسيات ، وهمم تحمل الجبال ، فلا تضيعوا هذه العزائم ، لا تذهبوا هذه الهمم ، ولا تناموا عن حماية استقلالكم فمن نام عن غنمه أكلها الذئاب .

إن هذا الجلاء نعمة من نعم الله ، فتلقوها بالشكر والطاعة ، واحفظوها بالجد والأخلاق ، فبالشكر تدوم النعم ، وبالأخلاص تبقى الأمم ، وبالمعاصي تبيد وتهلك ، إن أجدادنا كانوا يحتفلون بالنصر بحمد الله وطاعته فيقودهم الاحتفال إلى نصر جديد ، وكذلك تفعل الأمم الحية اليوم . أما سمعتم بحفلات تتويج ملك الانكليز ، لقد كان نصفها في الكنيسة ، فلماذا لا يكون احتفالنا بالجلاء إلا اختلاطا وتكشفا وغناء ورقصاً واستهتارا ، كأننا لم ينزل علينا كتاب ، ولم يبعث فينا نبي ، ولم يكمل لنا دين ؟

إني أخاف والله أن يكون الأجنبي قد أجلى جيوشه عنا ، وترك فينا قنابل تنفجر كل يوم ، فتدمر علينا أخلاقنا ، وأوطاننا ، واستقلالنا . إن كل عورة مكشوفة ، وفسوق ظاهر ، قنبلة أشد فتكاً من قنابل البارود ، ولا يخفى ضررها إلا على أحمق !

يا أيها الناس !

لقد جلت جيوش العدو عن أرضكم ، فأجلوا عن بيوتكم عاداتهم ، وعن رؤوسكم شبهاتهم ، وعن مدارسكم مناهجهم ، وعن شوارعكم حاناتهم ومراقصهم ، وعن محاكمكم قوانينهم ، وعن أجسام بناتكم وأولادكم ثيابهم الكاشفة الفاضحة وأزياءهم .

وذلك هو الجلاء الحق ، وذلك هو العيد الأكبر .

هذا ما قاله لصديق ، الزعيم إبراهيم بك هنانو عضو مجلس النواب السوري ، أنقله بنصه ، والعهدة على هذا الصديق .

علي الطنطاوي

حول قضية فلسطين :

الكلمة اليوم للعرب

فماذا هم صانعون ؟

للأستاذ سيد قطب

نحن — الأمم العربية — نستأهل كل ما يجرى علينا ، ما دمنا نختار لأنفسنا دائماً موقف الانتظار ، ولا نخطو خطوة إيجابية واحدة ؛ بل ندع ذلك لخصومنا وننتظر دائماً ماذا يصنعون !

ومصيبتنا الكبرى أن فينا من «العقلاء» أكثر مما ينبغى، وهؤلاء « العقلاء » هم الذين يشيرون علينا دائماً أن نتريث و « نتعقل » ونسلك الطرق « السلمية » حتى لا نخسر عطف العالم المتمدن ، أى العالم الأوربى والغربى على العموم !

فماذا جنينا اليوم من الانتظار بعد الانتظار ؟

جنينا أن ظلت قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم يوماً بعد يوم ، حتى انكفأت أخيراً فى هوة « لجنة التحقيق » ! ومع ذلك فالعقلاء لا يزالون إلى اليوم ينصحون لنا بالهدوء والتريث حتى نعرف ماذا سيصنع خصومنا . وخصومنا فى هذه المرة هم الإنجليز والأمريكيون ! ونحن الذين تطوعنا بأن نضمهم إلى صفوف أعدائنا اليهود، بعد تقرير لجنة التحقيق !

ولنرجع بذاكرتنا قليلا إلى الوراء .

فى وقت من الأوقات كانت فلسطين العربية ثائرة فائرة . فأسرع الانجليز يدعون الأمم العربية — ولم تكن الجامعة العربية قد أنشئت بعد — إلى مؤتمر فى لندن وهم يحاولون ترضية العرب الثائرين . وفى هذا الوقت أو بعده بقليل ، صدر الكتاب الأبيض الذى يضع حداً لهجرة اليهود ، ويحظر بيع الأراضى ، ويعد باستقلال فلسطين ...

ولم يرض العرب عن هذا الكتاب الأبيض . ولكن « العقلاء » أشاروا عليهم بالتزام الهدوء ، حتى لا يفقدوا « عطف العالم المتمدن » ! وانخدع العرب بكلام « العقلاء » فأخلدوا إلى الهدوء !

ثم جاء دور اليهود الإرهابيين ، فجعلوا يخاطبون الإنجليز باللغة الوحيدة التى يفهمها الإنجليز . ولحسن حظهم لم يكن فيهم « عقلاء » ، فراحوا ينفذون خطتهم فى دأب وإصرار .

ووقف عقلاؤنا يبسمون فى دهاء ويقولون : « دعوهم فى حماقتهم فإنهم يفقدون عطف العالم المتمدن . وسينقلب الشعور الإنجليزى ضدهم بسبب أعمالهم الإرهابية وجرائمهم المنكرة » ! وكانت هذه سذاجة هى والغفلة سواء !

وفهم الإنجليز اللغة الوحيدة التى يفهمونها . وانتهزوا فرصة ضغط الولايات المتحدة فى مصلحة اليهود ، وأعلنوا إلغاء الكتاب الأبيض وتأليف لجنة للتحقيق ، والسماح بالهجرة بعد انتهاء أجلها المحدود !

وتحرك العرب . ولكن « العقلاء » قالوا لهم : « كونوا عقلاء أيها العرب ، وانتظروا قرار لجنة التحقيق ، ولا تقوموا بأية حركة الآن لئلا تفقدوا عطف العالم المتمدن ، ودعوا اليهود الحمقى يرتكبون حماقاتهم ليفقدوا هذا العطف دونكم بما يرتكبون كل يوم من الإرهاب فى فلسطين وغير فلسطين» !

وسكت العرب ، وصدر قرار لجنة التحقيق !

فيا أيها العرب ماذا أنتم اليوم صانعون ؟

يقول لكم « العقلاء » : انتظروا حتى تروا ماذا يصنع الإنجليز . فرئيس وزرائهم يقول : إنه لا ينفذ التقرير إلا إذا ضمن مساعدة الولايات المتحدة العسكرية والمالية . وما دام الإتفاق لم يتم بين انجلترا والولايات المتحدة على هذه المساعدة فنحن منتظرون !

أيها العقلاء ... ... :

إنكم مغفلون ... !

إن موقف الانتظار البليد فى كل مرة هو الذى جعل قضية فلسطين تتقهقر دائماً ولا تتقدم ، منذ أن سمع العرب نصائحكم الغالية ، وحرصوا على عطف العالم المتمدن ، ووثقوا معكم بالضمير الأوربى ، أو الضمير الغربى على العموم .

Continuation of preceding article (bottom section):

أيها العقلاء !

إن الضمير الغربى كله ضمير متعفن . فالمغفلون وحدهم هم الذين يثقون بهذا الضمير، ويعلقون على يقظته حقوقهم القومية !

واللغة الوحيدة التى يفهمها هذا العالم المتمدين ، هى اللغة التى يخاطبهم بها اليهود : القوة والمال ، والإقلاق المستمر الذى لا يدع أعصابهم مستريحة ، ولا يدع تدجيلهم الدولى مستورا ، وكلما هاجت أعصابهم وانكشف موقفهم زاد ضميرهم يقظة وتحركت فى نفوسهم عواطف الرحمة والإشفاق على هؤلاء القلقين الثائرين !

أيها العقلاء !

ليس أمامنا تجربة واحدة تثبت أن الضمير الغربى قد تحرك مرة واحدة لقضية إنسانية بريئة يتبع أصحابها نصائح « العقلاء » فيدعون الضمير الغربى هادئا يغط فى نومه العميق .

لابد من ضجة وجلبة لإيقاظ هذا الضمير النائم ، واليهود اليوم يدركون هذه الحقيقة ؛ ولذلك هم ناجحون !

أيها العقلاء !

مجرم فى حق أمته ، وفى حق العرب أجمعين ، كل من يدعو أمته أو يدعو العرب إلى الثقة بهذا الضمير المزعوم .

* * *

وبعد ، فالكلمة الآن للعرب ، لا لمستر أتلى ، ولا للرئيس ترومان ، ولا للجنة التحقيق !

فإما أن يخاطبوا الضمير الغربى باللغة الوحيدة التى يفهمها ، والتى يحذقها اليهود ، فيلهبوا الضمير الغربى فى كل مكان .

وإما أن يخاطبوا هذا الضمير بلغة « العقلاء » وينتظروا حتى تنطبق الحلقة ، ويتم الإتفاق بين أتلى وترومان ...

وحينئذ لا يلومن إلا أنفسهم ، وإنهم للومون .

سيد قطب

السيد جحا

الحالم اليقظان

للأستاذ كامل كيلاني

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

١٠ — فى عيادة الطبيب

ومن بدائع ما يروى عنه فى هذا الباب ، أعنى باب الغفلة والنسيان ما حدث الرواة عنه حين رأى المرض يبرح بزوجته فتسأله فى إلحاح أن يستدعى لها الطبيب . فلا يكاد يخرج من البيت حتى تسرع زوجه إلى منافذه فتطل عليه ، مبشرة بشفائها مما ألم بها من ألم .

ويستولى على صاحبنا الذهول بعد قليل فينسى أن زوجه لم تعد بحاجة إلى استدعاء الطبيب ، وتسوقه قدماه — وهو هائم فى سيره — على عادة الكثيرين من المفكرين ذوى اليقظة الحالمة فاذا به فى عيادة الطبيب :

« ماذا جاء بك ؟ »

فلا يكاد يهم باستدعائه حتى يذكر ما نسى . فيتباله — على عادته — ولا يجد فى غير التغابى مخرجا له من مأزقه ، فيقول :

« لقد مرضت زوجى ، واشتد بها الألم فأمرتنى باستدعائك ، وما كدت أخرج من البيت حتى أطلت زوجى من النافذة وبشرتنى بشفائها ، ثم ختمت حديثها طالبة ألا أستدعيك . وقد جئت إليك لأخبرك بذلك حتى لا تكبد نفسك عناء الحضور .

١١ — غفلة أديب

وقريب من هذا ما حدث لأديب يعرفه القارىء . فقد استأذنه كاتبه ذات مساء فى إجازة ، ليستدعى الطبيب لأمه المريضة .

وعرف الأديب أن الكاتب الخبيث يخلق سبباً موهوماً ليمكنه من الذهاب إلى دار السيمى فى تلك الليلة ، وأنه ينتحل مرض أمه جاريا فى ذلك على مألوف عادته فى انتحال الأعذار .

وشاءت المصادفة أن يلمح الأديب — بعد قليل من الزمن — وهو فى طريقه لإنجاز بعض عمله ، جماعة من الشبان يتوسطهم كاتبه أمام دار السيمى . فأسرع الأديب إلى كاتبه ، ليؤنبه على كذبته ، ويقول له :

« أين السيمى أيها الغبى من الطبيب الذى ذهبت تستدعيه لأمك ؟ »

وما كاد يتم قوله : أين السيمى أيها الغبي ؟ » حتى تبين تسرعه وخطأه ، فقد أدرك أنه يحدث شخصاً قريب الشبه بكاتبه .

ودهش الجميع لهذه المفاجأة ، فلم ير الأديب له مخرجا من هذا المأزق فى غير الأسلوب الجحوى ، فقال للفتى متباله :

« أما السيمى ، فهى أمامك ! وأما أنت فلست بغبى » .

قلت : لكم إن صاحب هذه القصة هو أديب يعرفه الكثيرون منكم لا لشىء إلا لأنه ماثل أمامكم الآن يحاضركم فى غفلة جحا الذكى الحالم اليقظان .

١٢ — سرعة الخاطر

وهذه الغفلة كثيراً ما تعرض للانسان إذا استغرق فى التفكير ، فتذهله عما حوله ، فيأتى بأعجب التناقضات . وثمة يتبين بحرج الموقف فإذا لم تسعفه إجابة حاضرة ، أو لفتة ساخرة ، تنقذه من الحرج وتخلصه من المأزق الذى انزلق فيه ، أصبح سخرية الساخرين وهدف الهازئين ، وضحكة العابثين .

وعلى ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نفهم حقيقة أمره ، وبعده عما يرمى من غفلة وتناقض واضطراب ، ورحم الله المعرىّ القائل :

فيالك من يقظة كأنى بها حالم

١٣ — ريشة المصور

وكما أن المصور لا يستطيع أن تُظْهِرَ لك ريشتُه ما ينفرد به العملاق من ضخامة إلا إذا وضع إلى جانبه رجلا آخر أو نخلة أو شجرة أو شيئاً تقيس إليه طول العملاق ، لا يستطيع الكاتب أن تُظْهِرَ لك بَراعتُه مدى التناقض والشذوذ مثلا إلا إذا وَضَع بجوارهما شيئاً آخر ، يوضح لك مقدارهما ، ويجلو لك مسافتهما .

ومن هنا غلبت البرودة والتفاهة على جمهرة النكت التى تروى عن أفذاذ المتهكمين متى انقطعتْ عن ملابساتها ودواعيها .

ومن هنا نعرف لماذا استهجن الناس كثيراً مما نشر من دعابات جحا وإجاباته بعد أن رويت منفصلة عن بواعثها ودواعيها .

ولا عجب فى ذلكم فإن المصور — كما أسلفت القول — إذا حاول أن يرسم عملاقا ضخما لم يرسم رجلا يملأ فراغ الصفحة كلها . لأنه لن يشعرك بهذا أنه يصور عملاقا . على حين يستطيع فى نصف الصفحة أو ربعها — كما تعلمون — أن يدخل فى روعك هذا الشعور إذا رسم بالقياس إليه شيئاً آخر تعرفه ليتبين لك نسبة ضخامته .

والشىء لا يعرف مقداره إلا إذا قيس إلى ضده

١٤ — تاجر الأيام

ونحن إذا سمعنا أن جحا يسأله سائل :

« فى أى يوم نحن من أيام الشهور ؟ » .

فيجيبه : « لست أتجر فى الأيام والشهور » . خيل إلينا أنها نكتة بائخة . ولكننا متى عرفنا أن السائل ثقيل الظل ، وأن جحا لا يريد أن يجيبه بل يتوخى تصغيره ، ويتعمد تحقيره ، أدركنا أنه إنما يقصد إلى هذا الجواب قصداً ، ليشعره بثقله وسماجته ، ويتخلص فى الوقت نفسه من إجابته .

وليس أفتك بالثقلاء من أمثال هذا الرد .

١٥ — القمر والنجوم

وقريب منه قوله لثقيل آخر ، حين سأله :

« أين يذهب القمر القديم ، بعد أن يحل مكانَه القمرُ الجديد ؟ » .

فقد أجابه على هذا السؤال البائخ مستهزئاً :

« ألا تعرف ما يُصنع به ؟ إنه يقطع — بعد ذلك — نجوما تُنثَر فى السماء » .

١٦ — الأقمار والبروق

ويعترضه فى طريقه مخبول أحمق بادى الغفلة وهو يسير على هضبة مشرفة على بعض الوديان فيقول له المخبول :

« انظر أمامك فى هذا الوادى ، وخبرنى ماذا ترى ؟ » .

فيقول له جحا واجماً :

« أرى جثثا ملقاة على أرض الوادى ! » .

فيسأله المخبول :

« أتعرف قاتلهم ؟ إنه الماثل أمامك » .

فيشتد ارتباك صاحبنا جحا فيجامله قائلا :

« أتعرف لماذا فتكت بهم ؟ لقد عجزوا عن إجابتى عن سؤال واحد حيرنى . فإذا أجبتنى عنه كتبت لك السلامة » .

فيسأله جحا عن ذلك السؤال العويص . فيقول :

« لقد حيرنى أن أعرف لماذا يبدو القمر أولَ الشهر هلالا صغيراً ثم لا يزال يكبَر حتى يستدير ويَتِمَّ نورُه ، ثم يعود فيصغر شيئاً فشيئاً حتى يختفى ويطلُعُ غيره . فماذا يصنع بالقمر القديم ؟ » .

فيبتسم له جحا متلطفا ويهوّن عليه الأمر قائلا :

« تبا لأولئك الأغبياء . أما كان فيهم من يُفضى إليك بالنبإ اليقين ؟ ألم يعرفوا أن الأقمار القديمة بعد أن تغيب عنا تظل مختبئة ، حتى إذا جاء فصل الشتاء ، تألفت منها البروق التى تلمع فى السحب والغيوم » .

وهنا يُثْلَج صدر المخبول فيقبلُ يدى الفيلسوف العظيم قائلا :
شكراً لك أيها السيد الجليل فما خطر لى — والله — ذلك الرأى على بال ! » .

١٧ — تغابي الأكياس

وكم نرى — أيها السادة — فى كل عصر ومصر ، حمقى يسألون أمثال هذا السؤال ، وأكياساً من قادة الفكر يتنابون فلا يجدون مندوحة عن الإجابة بأمثال هذا الجواب ليتخلصوا من أذية المجانين وينجو بأنفسهم من كيدهم سالمين .

ثم يأتى بعض الباحثين فيحملون إجابتهم الساخرة مَحْمِلَ الجِدّ ، ويتهمونهم بالغفلة والجنون ، ناسين أن لكل مقام مقالا .

١٨ — فضل التغابي

ولقد أجمع الناس — أو كادوا — على فضل التغابى فى كل عصر كما تعلمون ، وأفاض المبدعون وافتنوا فى تصويره ما شاء لهم خيالهم وافتنانهم .

فقال « زهير بن أبى سُلمى » فى معلقته الرائعة :

« ومن لم يصانع فى أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم »

ثم تلاه معاوية فقال : « السَّرْوُ التغافل » .

ثم جاء عمر بن أبى ربيعة . فقال :

« تبا لهن بالعرفان لما رأيننى
وقلن : امرؤ باغ أضل وأوضعا »

ثم تلاه المتنبى فقال :

« ليس الغبى بسيد فى قومه
لكن سيد قومه المتغابى »

وأعقبه شيخ المعرة فقال :

« . . . .
وتبا له ، فإن دهرك أبله »

« قوم سوء ، فالشبل منهم يغول
الليث فرسا والليث يأكل شبله »

بعد أن قال :

« ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى
عن الرشد فى إنحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل : إنى أخو عمى
ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده »

* * *

ومن أروع ما عرفته فى هذا الباب الذى استفاض فيه قول الشعراء والكتاب ذلكم المثل التركى الذى يقول :

« عظموا أقداركم بالتغافل » .

ويقابله قول ابن زيدون :

« إن السيادة — بالإغضاء — لابسة
بهاءها ، وجمال الحسن فى الخفر »

وقريب منه قول بعض الأفذاذ من القُدامى المبدعين :

«اقبل معاذير من يأتيك معتذراً
إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أجلك من أرضاك ظاهره
وقد أطاعك من يعصيك مستترا »

كامل كيلانى

إبليس والفن

للأستاذ صلاح الدين المنجد

لا تظهر صورة الشيطان فى العصور الأولى من تاريخ الكنيسة ، وينبغى أن نبدأ من القرن السادس ، لنرى التخيلات الأولى ، للشيطان .

وأقدم هذه التمثيلات توجد الآن فى مخطوط قديم عن أعمال القديس غريغوار دنيزياز g. de Nizianze محفوظ فى المكتبة الوطنية بباريس .

فهذا المخطوط الذى يرجع عهده إلى القرن التاسع ، يتضمن صوراً أقدم من هذا التاريخ بثلاثة قرون . فإحدى الصور ، تمثل محاولة الشيطان فتنة أيوب ، وفيها يظهر أيوب فى قصره يفكر والشيطان بالقرب منه ، حاملا فى يده حقة طيب ، تتأرج منها الروائح العطرة المسكرة ، وكأنه يسخر من الحكيم ويهزأ به .

ولا يظهر الشيطان فى هذه الصورة مخيفاً ، بل ما يزال الملك المطرود ، المتكبر ، وهو هنا ذو جناحين طويلين منتشرين ، وله وراء رأسه إكليل من النور ، تذكر بأصله . ثم هو عارى الجسم حول خصره زنار من السيور ، وليس فى مخايله ما هو بعيد عن خلقة الإنسان ، ولكن يديه ورجليه المعقوفة الأظافر ، تميزه ميزة خاصة .

وفى هذه المخطوطة ، صور أخرى للشيطان وكلها متماثلة . والظاهر أن الفن الاغريقى ، والفن البيزنطى ، لم يشاءا أن يشوها شكل الشيطان . والفنانون الشرقيون فى بيزنطية كانوا ذوى شغف بالجمال ، فلم يهتموا بتصوير هذا الشيطان ، قريناً بالشر ، المخيف المنظر والمخبر .

ولم يقل رجال الدين فى الكنيسة قط ، إنهم رأوا مثلا الشيطان يوما ، بشكل شاب غرانق جميل ، أو بشكل فتاة حسناء كاعب ، ذات وجه ناضر . ولذلك كانوا يصورون الشيطان بالقبح ، ويلونونه باللون المظلم القاتم ، كالأسود أو لون البنفسج ، فهذا مسك الليل الشرير .

وانتقلت هذه الصورة من بيزنطية إلى الغرب ، فاتخذ الشيطان صورة البطل المغلوب المنهزم ، أو صورة الملك المطرود ، الذى ما زال يحفظ سمات الملائكة وصفاتهم .

ولم يلبث أن تبدلت هذه الصورة ، فعندما أراد نحاتو الكنائس الرومانية أن يصوروا الشيطان ، ملاك الشر تمثلوه بصورة أخرى .

وهناك أسباب عدة بعثت على هذا التبديل ، الأول هو رغبة الكنيسة نفسها ، إذ لا ينبغى أن ننسى أن الشيطان شىء خطر ، فهو الخبيث ، الذى لاهم له غير الإغواء والفتنة ، ولا بد إذن من منحه صفات مخيفة راعبة ، كى تنقش هذه الصورة الرهيبة فى قلوب المؤمنين ، فتحفظهم من إغوائه ، وتبعدهم من فتنته .

ولا يجهل من جهة ثانية ، أن أكثر المشاهد المنحوتة فى الكنائس قد استوحيت من الصور أو من القصص الدينية الممثلة فى أفنية الكنائس . ففى هذه الأقاصيص يظهر الشيطان مخاطا بقناع منحط مزر . فمن هذا الازراء والانحطاط ، استوحى الفنانون تصورهم للشيطان .

وسبب آخر ، هو أن الكنيسة كانت تتعمد أن يستخلص الرائى من صورة الشيطان عبرة وعظة ؛ فكانت تجبر النحاتين أن يجعلوا الفرق شاسعاً بين الملك والشيطان ، مع المحافظة على روح التصاوير البزنطية .

وفى القرن الثانى عشر ، كان الشيطان يصور فى أغلب الأحايين كما يلى : شكل إنسانى ، ذو جسم وفخذين وذراعين . ولكنه تارة ضئيل الجسم كأنه القزم ، وتارة بالعكس ، عبل القد مستطيل القامة كأنه العملاق . وسواء أكان قزما أم عملاقا ، فقد كانوا يجعلونه ذا هامة ضخمة ، وعينين جاحظتين واسعتين ، وأنف أفطس ، وفم غريب الخلقة لا يشبه فم الآدميين ، قريب إلى فم الكلب ، وأسنان ضخام مخيفات ، وشعور منفوشة ، قائمة كأنها ألسنة اللهب . وقد اصطلح الفنانون على إلصاق هذه الشعور فى رسومهم لكل من له صلة بالشيطان ، وخاصة بالنساء .

أما هامة الشيطان فتستدعى الرنو والعجب لضخامتها . وأما جسمه فهو نحيف ، والبشرة ذابلة جف ماؤها ، ورجلاه وذراعاه عظام لا تكسوها لحم ، وتنتهى بأظافر معقوفة جارحة . وعلى

هذا الشكل صور الشيطان ، فى مواساك Moissac ، أوتين فيزيلاى Autun Vézélay.

ويذهب مال E. Mâle الذى نقتبس منه هذه المعلومات إلى أن الرهبان هم الذين كانوا يختلقون هذه الصورة .

وقد ساعدت القصص الدينية ، وما فى الإنجيل خاصة ، على تمثيل الشيطان ، فصوروه تصاوير مختلفات ، تمثله مطرودا من الجنة كاسفا حزينا ، أو جالساً فى الجحيم على عرش فى وسط النار رجلاه على منصة ، تدور حدقتا عينيه المخيفتين، أوساعيا فى إغواء المؤمنين المخلصين .

وفى القرن الثالث عشر ، تظهر أكثر الصور التى كانت فى القرن الذى قبله . على أن شكل الشيطان نفسه قد اختلف اختلافا محسوسا ؛ لأن تخيلات الرهبان وأوهامهم صورته على شكل قزم قبيح فى منتهى القبح ، ولكنه أقل إرهابا . أما ملامحه فعادت كلامح الإنسان ، هى قبيحة بلا شك ؛ ولكنها أقل تشويها من الماضى . وتبدل مفهوم الشيطان ، فهو لايخيف كما كان يخيف من قبل ؛ ولا شك أنه أضخم من الماضى أيضا ؛ فلا نرى — إذا رأيت صورته — عظاما تخيف ، نوقها جلد مخيف ؛ ولكنه كان أملأ جسما . وقد يلاحظ أن بعض الصور كانت تلصق به بعض الملامح الحيوانية ، كأن يجعل له رأس قطة كبير ، أو كأنه القطة الكبيرة ، كما فى نوتردام دُ بارى .

على أنه يلاحظ أمر ، هو أنه كلما كان الفن يبتعد عن الدين كانت أشكال الشيطان تجنح عن إثارة الرعب . ففى القرن الخامس عشركان يخيل للرائى أن الشيطان مخلوق مضحك. وكان يحافظ ، فى أكثر المشاهد التى يصوَّر بها ، على الملامح الإنسانية ؛ أعنى أنه كان له دائماً رأس وجسم وذراعان وفخذان .

وبالعكس عصر النهضة فى فقد الشيطان هذه الصفة الآدمية . فنحن نلاحظ أنه بعد منتصف القرن الخامس عشر ، والقرن السادس عشر ، قد طرأ تبديل كبير على ملك الشر .

فلقد فهم رجال النهضة خطأ ما يرمز إليه الشيطان . ولا بد من التنويه بأن فكرة الشيطان لم تعرف فى الديانات اليونانية والرومانية . فى الديانة اليونانية كان للشياطين شأن قليل . فهى أرواح لا أثر لها ، تذهب وتجىء أحايين بين الآلهة والأبطال . ووجودها فى الديانة الرومانية أكثر غموضا أيضا . ولا بد من أن نذكر أن الآلهة فى أثينا وروما كانت فى آن معا ، أرواح خير وشر ، تضر من تشاء ، وتنفع من تشاء على هواها . أما فكرة وجود ملك للشر يقابل ملك الخير التى كانت توجد لدى الفينيقيين والفرس والهند فلم تعرفها اليونان والرومان .

فليس من الغريب إذن إذا كان! فى عصر النهضة تحت التأثير اليونانى الرومانى قد أهمل بعض الإهمال تصاوير الشيطان التقليدية الموروثة ، واستعيض عنها بتصور آخر . فقد أصبح الشيطان يرمز رمزاً كبيرا إلى القبح الشديد ، وهذا سر انقلابه حيوانا ، له ملامح الحيوانات كلها ؛ كالثور الوحشى ، والخنزير والدب وغيرها . وتمددت الشياطين ، فكثرت صورها أيضا . ولم يبق كما كان من قبل ، صورة واحدة لشيطان واحد .

وفى عصر النهضة ، من جهة أخرى ، ظهرت موضوعات أخرى طريقة تمثل الشيطان ، مثال ذلك أن صوروا الموت يخاطب الشيطان ، لأن الموت كان قد بدىء بتصوره منذ القرن الخامس عشر بإيحاء من الكنيسة أيضا كى تخيف المؤمنين مما يعقبه من جحيم ونعيم وعذاب . وفى كتاب L, Art Moriendi لفيرارد Verard ، وهو مزوق مصور ، تظهر صور كثيرة للشياطين ، كلها ذات ملامح فى أغلب الأحايين حيوانية ؛ فقد جعل لها أذناب وقرون وحوافر وغير ذلك .

ويلاحظ أن الشيطان قد أصبح حيوانا عند فنانى وادى الرين Valleé de Rhin أشباه ستيفان ومارتان وبعدهم عند البير دورر ومن جاراهم . ثم يلاحظ كلما تقدمنا فى القرن السادس عشر ، قلة تصوير الشيطان لأن « مجمع ترانت » عندما منع تصوير الشخوص المخيفة ومحاها ضرب الأقاصيص الدينية وشخوصها ضربة قاضية ، فقل تصوره .

حتى إذا أقبل القرن التاسع عشر ، ظهرت صورة جديدة للشيطان، فقد أثر ظهور فوست لغوته ، وانتشارها الواسع فى ذلك، ودفع الفنانين إلى تصوير هذا الشيطان الرجيم؛ فصوروه كما يلى : ملك مطرود من رحمة الله ، ترافقه فترة شقاء من قبح ، والجناحان طويلان ينتشران حول الجسم الشوه . وجهه يمثل صورة جانية مسنونة مضطربة ، وقد تدثر بدثار . وهكذا صوره دلا كروا فى فوست سنة ١٨٢٨ . وبقيت هذه الصورة شائعة بين الناس ؛ وهى التى يلجأ إليها اليوم فى تمثيل الشيطان .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

التاريخ فى سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التى غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجمال ...]

للاستاذ محمود الخفيف

— ١٣ —



بين الطغيان والحرية :

لم يقف ملتن بمعزل عن حوادث العصر الذى عاش فيه ، السياسية منها والدينية ، فدخل فى غمارها ورمى بنفسه فى بركانها وأصابه ما أصابه من نارها ، وكاد يحيط بعنقه حبل المشنقة . وما كان لنفس مثل نفسه تعشق الحرية وقد فطرت عليها أن تهاب الضرر أو الموت فتنكل عن الوقوف فى وجه الطغيان ، وهذا ركن من أهم أركان شخصيته كرجل وكشاعر . لهذا كان لا بد من فصل يجلو حوادث ذلك العصر لننظر بعده على أى صورة كانت صلته بتلك الحوادث وإلى أى مدى أثرت فيه وأثر فيها .

انتهى بموت إليزابث عام ١٦٠٣ حكم أسرة تيودور ، وبدأ حكم أسرة ستيوارت فى شخص جيمس الأول ، وقد ولد ملتن بعد خمس سنوات من اعتلاء هذا الملك عرش انجلترة ، وظل جيمس يحكم حتى وفاته سنة ١٦٢٥ وهى السنة التى التحق فيها ملتن بالجامعة ، وخلف جيمس على العرش ابنه شارل الأول ، وظل شارل يقود سفينة الملك وسط الأنواء الشديدة التى انتهت بريح عاتية هى الثورة أو الحرب الأهلية ، واختتمت هذه الثورة بإعدام شارل بتهمة الخيانة سنة ١٦٤٩ ، أى بعد عشر سنوات من عودة ملتن من إيطاليا . وحكم البلاد بعد شارل القائد الحربى للثورة أوليفر كرمويل أحد كبراء البيوريتانز وسمى حامى الجمهورية ، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ١٦٥٨ . وخلفه ابنه فحكم البلاد سنة واحدة ، ثم عزل لضعفه وأعيدت الملكية فى شخص شارل الثانى سنة ١٦٦٠ .

وكانت تلك السنوات السبع والخمسون مليئة بالأحداث ، وهى من أهم السنوات لا فى تاريخ انجلترة فحسب ؛ بل فى تاريخ الحكم النيابى والحرية فى العالم كله ، إذ كانت صراعا متصلا بين الطغيان تمثله الملكية وبين الحرية يمثلها البرلمان ؛ وكان هذا الصراع حول مسألتين : المسألة السياسية والمسألة الدينية .

ظهرت المسألة السياسية فى صورة نظرية أول الأمر ، وذلك حينما أعلن جيمس الأول تمسكه بالحق الإلهى للملوك ، أو نظرية التفويض من قبل الله . وقد أنكر البرلمان عليه هذا الزعم كما أنكره طالبو الحرية من غير رجال البرلمان . ثم اتخذت المسألة وضعا عمليا حين وقع الخلاف بين الملك والبرلمان على أمور معينة ، إذ حاول كل أن يبرر مسلكه حسبما يذهب إليه من رأى فى التمسك بنظرية التفويض الإلهى أو فى إنكارها والتمسك بالحقوق التى اكتسبها الشعب منذ منتصف القرن الثالث عشر .

كان يقصد بالحق الإلهى للملوك فى القرن السادس عشر معنى خاصا ، وذلك أن الدولة سواء أكان برأسها ملك أم أمير لها حق البقاء ، وافقت الكنيسة على ذلك أو لم توافق ، وكان ذلك المعنى مما قصدت به البروتستنتية إلى الفصل بين سلطان الكنيسة وسلطان الدولة رغبة فى إضعاف الكنيسة .

ولكن الملوك فسروا هذه العبارة تفسيرا جديدا فى القرن السابع عشر ، فقالوا إن هناك حقا خاصا بأشخاص الملوك ، فهم خلفاء آدم فى الأرض ، وقد أعلن الله فى كتابه إقراره سلطة

الملوك المطلقة فلا يجوز أن تلاقى تلك السلطة أية مقاومة أو تدخل فى شؤونها .

وكان جيمس الأول يحكم اسكتلندة باسم جيمس السادس وآل إليه عرش انجلترة بالوراثة فاتحد فى شخصه حكم المملكتين، وقد قتل الملك لصا وهو فى طريقه إلى انجلترة بغير أن يحاكمه نخرج بفعلته هذه على حق اكتسبه الفرد فى انجلترة منذ لائحة العهد الأعظم التى ظفر بها الإنجليز سنة ١٢١٥ ، والتى جاء فيها صراحة أنه لا يجوز حبس أى إنسان أو نفيه أو مصادرة أملاكه أو إعدامه إلا بعد محاكمة تكفل له فيها وسائل الدفاع عن نفسه .

وتمسك جيمس منذ هبط إنجلترة بالحق الإلهى للملوك ، وتحدى البرلمان هذا الحق ، وكان من محاسن الأقدار أن لم يقف النزاع عند وضعه النظرى بل تعدى ذلك إلى مواقف راح البرلمان فيها يبرر مسلكه أو يؤيد حقه على ضوء السوابق والحقوق المكتسبة ، وملابسات الحال ، ومقتضيات الظروف من النصفة والعدالة .

وكان البرلمان فى عهد أسرة تيودور قد خضع للحكم المطلق فعلا ، ومرد ذلك إلى أن ملوك تلك الأسرة لم يتمسكوا فى حكمهم بالنظريات ؛ بل كانوا يعملون على كسب مودة أعضاء البرلمان وضمان تأييدهم إياهم ليكون الأمر فى ظاهره للبرلمان وفى حقيقته لهم . هذا إلى أنهم كانوا أحيانا يتزحزحون عن مواقفهم خطوات إذا لاحت نذر الشر ، أو يحاولون بالكلمة الطيبة أن يكسبوا قلوب النواب ، نجد خير مثال لذلك فى موقف نبيل وقفته اليزابث فى أواخر حكمها سنة ١٦٠١ حين لحت اتجاه الرأى العام فى معارضة البرلمان لقانون من القوانين، فقالت للنواب: « ولو أن الله رفعنى مكانا عليا فإن ما أعده فى الواقع مجد تاجى هو أنى أحكمكم مستندة إلى محبتكم ، وهذا ما يجعلنى أشعر بالسعادة لأنى ملكة شعب شكور ، أكثر مما أشعر بها لأن الله جعلنى ملكة فحسب » .

وكانت البلاد فى عهد تلك الأسرة تخشى الحرب الأهلية بين فرعى بيت الملك كما كانت تخشى الغزو من الخارج ، وعلى الأخص من جانب أسبانيا الكاثوليكية . هذا إلى أنه كان للناس منصرف عن السياسة وأمورها إلى النهضة العلمية الأدبية وحركة الكشف الجغرافى والإستعمار وراء البحار ، فخمدت جذوة السياسة حتى كادت تتحول إلى رماد .

وكانت تقتضى الحكمة وبعد النظر مسالمة رجال البرلمان بعد زوال الخطر الداخلى وابتعاد شبح الغزو الخارجى إثر تحطيم الأرمادا أسطول أسبانيا المعظم ، ولكن جيمس الأول أخذ فى ظروف كهذه يعلن تمسكه بنظريته ، فنفخ بذلك فى الرماد حتى توهج ، ثم إذا به يشتعل فى عهد خلفه اشتعالا

وكان جيمس غداة ولايته عرش انجلترة فى السابعة والثلاثين من عمره ، وكان ملكا مثقفاً على شىء غير قليل من اللباقة ، وفى نفسه قدر من روح الفكاهة ، ولكن لم يكن يحسن وزن الأمور لتمسكه بالجانب النظرى منها ، كما أنه لم يحسن كيف يحيط شخصه بما يجب للملوك من وقار وهيبة ، بل لقد اجتمعت فيه كل الصفات التى يجب ألا تنسب واحدة منها إلى ملك ، وقد قال عنه هنرى الرابع ملك فرنسا : « إنه أعلم مغفل فى العالم المسيحى ! »

اجتمع أول برلمان فى عهد جيمس سنة ١٦٠٤ ، فكان أول خلاف بينه وبين الملك أن تدخل الملك فى الانتخاب ، فقد حذر الناخبين أن ينتخبوا المتطرفين فى الآراء الدينية والمحرومين من حماية القانون ، ولكن إحدى الجهات انتخبت واحداً من هؤلاء فأبطل انتخابه بأمر الملك توطئة لانتخاب غيره . وثار البرلمان وتمسك بأنه صاحب الحق فى النظر فى هذا الأمر ، وأذعن الملك مكرهاونا كدبهذا الإذعان حق البرلمان فى القيام على أمر الانتخاب!

وأعقب ذلك حادثة أخرى ، وتلك هى حبس أحد أعضاء البرلمان لعدم دفعه ما عليه من دين ، وإذ ذاك أعلن النواب أنه لايجوز القبض على عضو من الأعضاء إلا بتهمة الخيانة أو تعريض السلم العام للخطر. ولكن الملك أصر على موقفه ولم يعبأ برأى النواب!

وفى نفس السنة أظهر جيمس عطفه على الكاثوليك وأراد أن يغير بعض القوانين الضارة بهم ، فعارض البرلمان ، وكانت ميول أعضائه بيوريتانية ، ولعله إنما أراد بالمعارضة أن يقف فى وجه الملك أكثر مما أراد أن يكيد للكاثوليك ... وأسرها الملك فى نفسه ...

على أن أكبر خلاف وقع بين الملك والبرلمان كان على مسألة الضرائب ، وذلك سنة ١٦٠٨ حين أراد الملك أن يفرض من تلقاء نفسه ضريبة إضافية على التجارة ، فعارض البرلمان معارضة شديدة ، لأن هذا العمل يقوض حقاً هو أهم حقوقه من أساسه ، ولكن الملك تمادى فى عناده ، وامتنع أحد التجار عن الدفع وقدم إلى المحاكمة ، وكان الملك يومئذ يخيف القضاة بعزلهم من مناصبهم

على الرغم مما نص عليه العهد الأعظم من منع تدخل الملك فى سير العدالة ، وحكم القضاة على التاجر ؛ ولكن صوت البرلمان فى الاحتجاج لم يخفت بهذا الحكم وإن لم يجده ذلك شيئاً ، وما لبث أن تخلص منه الملك فى غير عناء !

وفى سنة ١٦١٤ اشتدت بالملك الحاجة إلى المال بسبب إسرافه وإسراف حاشيته ومن اصطفاهم ، فجعلهم من المقربين إليه أولى الحظوة عنده ، فدعا الملك برلماناً جديداً ليعينه على الخروج من الأزمة ، وحرص أتباعه على أن يأتى موالياً للملك ، ولذلك أطلق الناس عليهم اسم المتعهدين استهزاء بهم ؛ ولكن البرلمان ما كاد يجتمع حتى أظهر المعارضة للملك والمقربين إليه ، وأنكر سياسة الملك الخارجية ، فقد كان يريد جيمس مسالمة أسبانيا ومصالحتها ، وكانت انجلترة تكره ذلك أشد الكره !

وغاظ الملك أن يكون هذا البرلمان أشد من سالفه عناداً ، فأسرع إلى حله بعد شهرين من اجتماعه ، ولما يتخذ قراراً واحداً ، ولذلك أطلق عليه اسم « البرلمان العقيم » !

وحكم الملك ست سنوات من غير برلمان ، يعمل بمشورة خلصائه حيناً ، ويتبع هواه حيناً ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، لا يسأل عما يفعل ولا يفكر فى عاقبة أمره .

وفى سنة ١٦٢١ دعا جيمس برلمانا جديداً ، وكانت الحاجة إلى المال هى التى تجعله يدعو البرلمانات ليعتمد على معونة النواب فى فرض ما يطلب من الضرائب ، وقد تذرع فى هذه السنة برغبته فى نصرة البروتستنتية وذلك بمساعدة صهره البروتستنتى فردريك حاكم البلاتينات فى ألمانيا ضد النمسا وأسبانيا ؛ وتحمس البروتستنت فى انجلترة لمعاونة زملائهم فى القارة ، ولكن ما كان أشد غضبهم أن رأوا الملك يحجم بعد تحمس ،دون أن يستخذى لما حل بصهره أو يأبه بتألم الشعب لما نال البروتستنت من هزيمة فى القارة ، وإذ ذاك عاد البرلمان إلى مناوأة الملك فى المسائل الداخلية ، فطالب بمحاكمة بعض وزرائه وأصفيائه على ما نسب إليهم من تهم أهمها الأثراء بغير حق عن طريق الاحتكار ، وكان ثمة عرف قديم أهمل منذ سنة ١٤٥٠ يتيح للنواب حق الاتهام على أن تكون المحاكمة أمام اللوردات ، وأحيا النواب هذا العرف فغضب الملك غضباً شديداً ليحمى وزراءه وأصفياءه ، وأعلن كلة جريئة اهتزت لها البلاد هزة الغضب والألم وهى قوله « إن امتيازات النواب واللوردات ليست حقا لهم كما يظنون وإنما هى منحة من الملك ، وإن عمل النواب ينبغى ألا يتعدى الأمور المحلية كالمناقشة فيما يطلب من المال والإعراب عن آراء ناخبيهم ، أما أمور الدولة العليا فى السياسة والدين فمن اختصاص الملك وحده ... » ورد البرلمان بصيحة بالغة الجرأة فقال « إن كافة ما لدى البرلمان من الحريات والامتيازات والأمور المتصلة بالانتخاب وبسير العدالة ، إنما هى حقوق قديمة مؤكدة تثبت بمجرد الميلاد لكل فرد فى انجلترة ويتوارثها الأجيال ، وكل ما هنالك من مسائل خطيرة ملحة تتصل بالملك والدولة والدفاع عن المملكة وعن كنيسة انجلترة ووضع القوانين والمحافظة عليها والعمل على إزالة أسباب الشكوى فى الداخل ، إنما هى من صميم ما يختص به البرلمان ويدير فيه المناقشات ويتبادل أعضاؤه فيه المشورة . »

وساء وقع هذا بالضرورة فى نفس الملك المتجبر فأخذته العزة بالإثم وحل البرلمان ولم يجتمع إلا سنة ومزق بيديه هذا القرار من مضبطة المجلس وألقى ببعض أعضائه فى غيابة السجن ، وظل يحكم مستبداً بالأمر حتى سنة ١٦٢٤ حين جمع عزمه وأراد أن يعلن الحرب على أسبانيا ، وشعر بحاجته إلى المال ، وإذ ذاك دعا برلمانا جديداً لم يكن أقل من سابقيه معارضة للملك المستبد وظل قائماً حتى مات الملك سنة ١٦٢٥ .

ومن عجيب أمر جيمس أنه كان أقل الطغاة خطراً لضعف شخصيته ، ولكنه كان مع ذلك أكثرهم استفزازا للنفوس بتهوره وبكلامه . والحق أنه أساء إلى الإنجليز بما قال أكثر مما أساء إليهم بما فعل ؛ كأنما كان مولعاً بأن يستعجل الثورة فى البلاد ، وكأنما كانت رسالته إشعال نار هذه الثورة ؛ فما كان بمستطيع أن يحمل الناس على احترامه بناحية من نواحى القوة والعظمة كما عسى أن يفعل الطغاة إذا أرادوا أن يغطوا طغيانهم لأنه لم يكن على شيء من هذا ؛ ولا كان بقادر على أن يقف فى طريق الحرية الثائرة معترضا لها ليصدها عن وجهتها . ورأى الإنجليز أنفسهم لأول مرة فى تاريخهم تلقاء ملك يشعرون باحتقاره ، ويسخرون من ضعفه وإن تظاهر بالقوة فما كان ما يزعمه لنفسه من قوة إلا الحماقة فى أسخف صورها ...

أما عن المسألة الدينية فى عهده فلم يك جيمس فيها أقل حمقاً ولا أخف طغيانا إن لم يكن أقبح عناداً وأبغض استبداداً .

(يتبع) **الخفيف**

كتب قرأتها :

فى غربال ميخائيل نعيمة

للاستاذ حبيب الزحلاوى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ويقول : « لكل ناقد موازينه ومقاييسه ، وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا فى السماء ولا على الأرض ، ولا قوة تدعمها وتظهرها قيِّمة صادقة سوى قوة الناقد نفسه ، وقوة الناقد هى فيما يبطن به سطوره من الإخلاص فى النية ، والمحبة للمهنة ، والغيرة على موضوعه ، ودقة الذوق ، ورقة الشعور ، وتيقظ الفكر ، وما أوتيه بعد ذلك من مقدرة البيان لتنفيذ ما يقوله لعقل القارئ، وقلبه ...

« لا يكون الناقد ناقداً إذا تجرد من خلة « قوة التمييز الفطرية » تلك القوة التى تبتدع لنفسها مقاييس وأوزاناً ولا تبتدعها المقاييس والأوزان ، فالناقد الذى ينقد « حسب القواعد » التى وضعها سواه لا ينفع نفسه ولا منقوده ولا الأدب بشىء .

« ... نحن فى حاجة إلى الناقدين لأن أذواق السواد الأعظم منا مشوهة بخرافات رضعناها من ثدى أمسنا ، وترهات اقتبلناها من كف يومنا ، فالناقد الذى يقدر أن ينتشلنا من خرافات أمسنا وترهات يومنا ، والذى يضع لنا اليوم محجة لندركها فى الغد ، هو الرائد الذى سنتبعه والحادى الذى سنسير على حدوه .

ويقول : « إذا لم يكن للناقد من فضل سوى رد الأمور إلى مصادرها ، وتسميتها بأسمائها لكفاه ذلك ثواباً . إلا أن فضل الناقد لا ينحصر فى التمحيص والتثمين والترتيب ، فهو مبدع ومولِّد ومرشد ، مثلما هو ممحِّص ومثمِّن ومرتب .

« هو مبدع عند ما يرفع النقاب فى أثر ينقده عن جوهر لم يهتد إليه أحد ، حتى صاحب الأثر نفسه .

هو مولد ، لأنه فيما ينقد ليس فى الواقع إلا كاشفاً نفسه .

وهو مرشد ، لأنه كثيراً ما يرد مغروراً إلى صوابه ؛ أو يهدى شاعراً ضالا إلى سبيله .

« رب ناقد لم ينظم فى حياته بيتاً ، ولا عرف ما فى النظم من مشقة الأوزان والقوافى ؛ ولا فى لذة الفوز بها ؛ غير أن ذلك لا يعوقه عن إدراك ما فى الإفصاح عن عوامل النفس من لذة روحانية ، ولا يعميه عن تموجات الألوان فى الرسوم الكلامية ، ولا يصمّه عن رنة الألحان فى مقاطع الألفاظ والعبارات .

والناقد فى إمكانه الدخول إلى مستودع روح الشاعر ، وتفقد مخبئاته إلى أن تتولد فيه حالة نفسية كالتى تمخضت فى الشاعر بتلك القصيدة ؛ فيصبح الناقد كأنه الشاعر وكأن القصيدة من وضعه .

« إن حظ الناقدين من دهرهم قليل ، فهم لا يُرضون فريقاً من الناس إلا بإغضاب فريق آخر ، غير أن القوى بينهم — والقوى من أخلص النية — لا يحفل بمن يرضى وبمن يغضب ، لأنه يخدم غاية أكبر من رضاء الناس وسخطهم ، ويتمم وظيفة هى من أهم وظائف الحياة ... » ويضيف الأستاذ العقاد على هذا التعريف الشامل للناقد فيقول : « عمل الناقد تصحيح كثير من مقاييس الأدب ، وإن من يصحح مقياساً للأدب فقد يصحح مقياساً للحياة » .

* * *

« ... كلنا يتكلم عن الشعر ؛ بعضنا يؤلهه ، والآخر يمقته والثالث يقرضه ، والرابع يقتات ويتنفس به ، هذا يشحذ ذاكرته بالملقات والموشحات والحاليات واللامنيات ، يرددها فى وحدته ويتلوها على مسمع أصحابه ، وذاك يكتب القصيدة بعد القصيدة يستعد لأن ينشر درر أفكاره فى « ديوان » ... فلا بدع فنحن من سلالة قوم هم ، إذا مات منهم شاعر قام شاعر ... نحفل بالشعر لأنه لغة النفس وترجمان عواطفنا وأفكارنا ... » والشاعر هو نبى وفيلسوف وموسيقى وكاهن .

نبى : لأنه يرى بعينه الروحية مالا يراه كل البشر .

ومصور : لأنه يقدر أن يسكب ما يراه ويسمعه فى قوالب جميلة من صور الكلام .

وموسيقى : لأنه يسمع أصواتاً متوازنة حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجعجعة .

وكاهن : لأنه يخدم إلهاً هو الحقيقة والجمال .

... إن روح الشاعر تسمع دقات أنباض الحياة ، وقلبه يردد صداها ، ولسانه يتكلم « بفضلة قلبه » .

« ليس الشاعر من يخلق عواطف ويولد أفكاراً ، إنما الشاعر

من بعد أصابع وحيه إلى أغشية قلوبكم وأفكاركم ، فيرفع جانباً منها ، ويحول كل أبصاركم إلى ما انطوى تحتها فتبصرون هناك عواطف وتعثرون على أفكار ... هي أفكاركم ... ثم يترككم وإياها تستجلون ألوانها ، وتتفحصون معانيها ... عندها نستفيق أنفسنا إذا شعرت برعشة الحياة في داخلها ، لأن الحياة فينا لا خارجا عنا ، وما التأثيرات التي تحدثها فينا الطبيعة أو الحياة الخارجية إلا منبه لما كمن في داخلنا من العواطف والأفكار»

« الشاعر ترجمان النفس والشعر لغتها ... خيال الشاعر حقيقته ... الشاعر الذي يستحق أن يكون شاعراً لا يكتب ولا يصف إلا ما تراه عينه الروحية ، ويختمر به قلبه حتى يصبح حقيقة راهنة في حياته ولو كانت عينه المادية قاصرة عن رؤيته .

... بين شعرائنا المعاصرين الذين في شعرهم مدى ، أي قوى التفكير والعاطفة والبيان ، شاعر أقل ما يقال فيه إن لشاعريته وجهاً يميزها عن كل شاعرية ، ولألحانه رنة تعرف بها بين سائر الألحان ، وفي كل ما ينظمه نكهة تختلف عن كل نكهة . وبعبارة أخرى ، إن في شعره شخصية لا تندغم في شخصية أحد من الشعراء ...

* * *

ماهو الشعر ؟ هو نسمة الحياة . والذي أعنيه بنسمة الحياة ، ليس إلا انعكاس بعض مافي داخلي من عوامل الوجود في الكلام المنظوم . والشعر الذي ينزل بفكري إلى أغوار تحتها أغوار ، ويعلو به إلى سماوات تلوح من ورائها سماوات ، ويفتتح لخيالي آفاقا خلفها آفاق ، ويفسح لعاطفتي مدى يجرها إلى أمداء ، هو الشعر الذي تستأنس به روحي ، وتتفتح له براعم الحياة في داخلي . ولابد للشعر من عاطفة وخيال يجعل من الشعر والموسيقى توأمين

ما هي الغاية من الشعر ؟ قوم يقولون إن غاية الشعر محصورة فيه ولا يجب أن تتعداه « الفن لأجل الفن » وآخرون يقولون إن الشعر يجب أن يكون خادما لحاجات الإنسانية ، وإنه زخرفة لا ثمن لها إذا قصر عن هذه المهمة . ولهذين المذهبين تاريخ طويل ... إنما نكتفي أن نقول إن الشاعر لا يجب أن يكون عبد زمانه ورهين إرادة قومه . ولكننا نعتقد أن الشاعر لا يجب أن يطبق عينيه ويصم أذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توحيه إليه نفسه فقط ، سواء كان لخير العالم أو لويله ، وما دام الشاعر يستمد غذاء لقريحته من الحياة ، فهو لا يقدر إلا أن يعكس أشعة تلك الحياة في أشعاره ... لذلك يقال إن الشاعر ابن زمانه .

يطول بي القول إذا أشرت إشارات عابرة ، أو وقفت هنيهة عند كل ما يستوجب الوقوف حياله من مواضيع هذا الكتاب الذي لا تبلى جدته ، ولا تنصل ألوانه . ويكفي أن أشير إلى موضوعات لامناص للأديب من قراءتها وإملاء الذهن منها ، كموضوع « محور الأدب » و « الرواية التمثيلية العربية » و « المقاييس الأدبية » و « الحباحب » و « نقيق الضفادع » و « الزحافات والعلل » فكلها موضوعات تشخص الأدواء ، وتداوي العلل ، وتهول بالمبضع والمشرط على الضعفاء من الشعراء والكتاب .

من أوجه خصائص الأستاذ الكبير ميخائيل نعيمة أنه لم يكن في « غرباله » الخالد موضوعياً بحتاً ولا ذاتياً بحتاً ، ولا متشرعا يسن السنن ويقنن القوانين ، بل كان « معلما » وقف فوق المنبر وقد أخذته الغيرة على الأدب ، وثارت نخوته ، نخوة الخائف على نهضة العصر أن تلوث في باكورة انبعاثها ، فراح يصرخ صرخات الصدق والإخلاص ، ويشرح مؤلفات الأدباء والشعراء المعاصرين ، على طريقة المثال لا الحصر ، ولم يكن « مقلداً قط » بل كان « نعيميا » أي نسيج وحده في القوة والتمييز والابتداع والخلق والرفق والشفقة ، وما كان قط مموهاً أو ممالقا ، لأن المموه المالق ليس بأديب ولا بمخلص للأدب ، ولو كان من كبار الكتاب والشعراء والمؤلفين .

حبيب الزحلاوي

هذا العالم المتغير :

الصم يسمعون بعيونهم

للاستاذ فوزى الشتوى

قد لا تمر فترة قصيرة حتى يسمع الصم بعيونهم ، أو بطريق آخر سيقرأون بعيونهم ما تنطقه شفتاك ، وليس من الضرورى أن يروك ، بل تستطيع أن تحدثهم بالتليفون فيقرأوا صوتك بذات الطريقة التى تقرأ بها هذه الكلمات

وقد يبدو لك هذا الحديث غريباً ، فتعال معى إلى أحد المعاهد الأمريكية لترى رجلا ولد أصم ، ومع ذلك يتحدث بالتليفون إلى أحد معارفه عن طريق جهاز حديث يحول الحديث إلى مركبات . وكان الأصم يرقب لوحة صغيرة تترجم عليها الأصوات إلى صور أمواج ظاهرة تتباين باختلاف مقاطع الحروف والألفاظ فيعرف هو معناها ويجيب عنها بصوته كأى إنسان عادى

فالصوت — كما تعرف — يبدو فى لغة الطبيعة أمواجاً ، وهى نفس النظرية التى تنقل إليك الأصوات فى المذياع وفى آلة التليفون ، ولكنه بدل أن ينعكس ويرد إلى أصوات تسمع يسجل فى الموجات المرئية كما هى فى الطبيعة بالاستعانة بصمام يشابه الصمامات المستخدمة فى المذياع المصور (التليفزيون)

وهذا الجهاز الجديد فى حجم الآلة الكاتبة الجديدة ، وعلى لوحته يرى الأصم أمواج صوت محدثه كما يرى أمواج صوته هو ، فيصحح أخطاءها إن حدثت ، فإنك تعرف أن الأصم غالباً ما يكون أخرس أيضاً ، ولا سيما إن كان الصمم قد أصابه وهو صغير فلم يتعلم مخارج الحروف ولا طرق النطق . فتعليم اللغة وإتقانها عادة نحصل عليها بالتقليد ، كما أن القراءة والكتابة عادة أيضاً نحصل عليها بالمران ، وما هو معروف بطريقة الخطأ والصواب

فالطفل فى مهده يسمع أباه وأمه وجيرانه يتحدثون ويحاول تقليدهم ، فمرة يصيب ومرات يخطئ ، ويستفيد من خطئه كما يستفيد من صوابه ، لأنه ينحو إلى تصحيح أخطائه فى النطق كما يطمئن إلى نطقه المضبوط ، وبالتكرار يتعوده ويصبح جزء منه ومن ثم تختلف اللهجات كما تختلف اللغات .

فإن كان الطفل أصم فهو لا يسمع، ومن ثم لا يقلد ، أو بطريق آخر يصعب عليه أن يتعلم الحديث فنطلق عليه لقب أخرس ؛ ولكن البلاد التى تعنى بتوفير الرفاهية لأكبر عدد ممكن من شعبها تسعى لتذليل هذه العقبة ، ومن ثم ظهرت فى أمريكا مدارس لتعليم الأطفال قراءة الشفاه ، فإذا لعبت شفتاك أمام عيونهم عرفوا ما تقول وأجابوك فلا تكاد تحس بأنهم صم .

ورسم الكلمات أيضاً شىء اصطلاحى تواضع عليه أبناء اللغة الواحدة ، فالعربى يرسم الفتحة الطويلة شرطة عمودية نعبر عنها بالألف ، ويختلف عنه الانجليزى أو الصينى وإن كان الجميع يتفقون تقريباً فى نطقها . والطبيعة لا تعرف ما تواضع عليه الناس ولها كتابتها الخاصة التى تصور بها مخارج الألفاظ ورسم الحروف .

وكانت كتابة الطبيعة للالفاظ معروفة . ولكنها كانت كثيرة التفاصيل يعز على الناس التفريق بينها وفهمها فهما دقيقاً حتى تيسر أخيراً تبسيطها باستخدام مرشحات تبرز المقاطع الواضحة ، فمن سياق المعنى تعرف ما أقصد بكلمة (كتب) إن كانت كَتَبَ أم كُتُبٌ إلى غير ذلك من الألفاظ .

ولهذا التبسيط ميزته إذ هو يزيل اختلاف اللهجات ، فأجريت تجربة على ستة أفراد — ثلاثة رجال وثلاث سيدات — ولكل منهم لهجة تخالف لهجة الآخرين ونطق كل منهم بكلمة واحدة فكان شكل الموجة الصوتية واحداً فى الحالات الست برغم اختلافهم فى نطقها وحدتها ووضوح النبرات أو اندماجها .

وتكتب الطبيعة المخارج الصوتية بطريقة تخالف الطرق الإنسانية وتبذها فى التعقيد ، فبعض الألفاظ تظهر كثلاثة خطوط أفقية فى أعلى اللوحة وخط فى أسفلها وبعضها يبدو كالعقارب أو مثل الثعبان مما يتطلب مراناً لا يقل عن المران الذى يتطلبه تعليم وسائلنا فى كتابة اللغات البشرية .

وقد قدر تعليم الصم قراءة الكتابة الصوتية بقدرتهم على تعليم لغة حركات الشفاه ، فوجد أن الأولى أصعب ولكن مواصلة المران لبعض أفراد فريق التجارب الأول أن يتلقى الإشارات التليفونية كأى إنسان عادى .

ومنذ فترة قصيرة أجريت تجربة هذا الجهاز أمام فريق من

رجال الصحافة وكان المتحدثان رجل اسمه بلوم وامرأة اسمها جرين ولدا أصمين ، خاطبته السيدة بقولها : « أهلا وسهلا يامستر بلوم ... وكيف حالك » . فأجابها على الفور « إننى بخير يا آنسة جرين أشكرك » واستمر الحديث بينهما مدة تناولا فيها عدة موضوعات وهما متفاهمان كل التفاهم .

ولا تزال هذه الطريقة فى تيسير الحياة للصم فى مرحلة التجارب وإن كانت الخطوات التى خطتها واسعة يسرت كثيراً من العقبات ؛ ولكن القائمين بأمرها يعتقدون أنها ستكون من خير الوسائل لتعليم الأطفال الصم وستخفف كثيراً من العناء الذى يلاقيه من يدربونهم على الحديث ويلقنونهم العلوم .

وهم يسجلون جميع المراحل التى تتناول صقل الجهاز وتبسيطه كما يسجلون مراحل تعليم الأفراد أيضاً ويقارنونه بشتى وسائل التعليم ليعرفوا أخطاءها فينقحوها ، وبواسطة هذا الجهاز تيسر إصلاح النطق الفاسد فى بعض الصم وإتقانه مما يبعث على الأمل فى تعليم الصم فى فترة أقصر .

ويتعلم الطفل الأصم فى سنته الأولى نطق ستة ألفاظ فقط ، فإذا بلغ سنته الثالثة فى المدرسة تعلم نطق ٥٠ كلمة ، بينما الطفل العادى يتعلم فى ذات الفترة ٣٠٠٠ كلمة وهو فرق كبير سيخفف منه ولا ريب رؤية الأطفال تصور موجات ألفاظهم الصوتية ومقارنتها بصور الألفاظ الصحيحة .

وأهمية هذا الجهاز الكبرى فى سهولة تعليم الأطفال أن ولدوا صماً فنادراً ما يتاح للطفل الحصول على أى جانب من التعليم فيظل جاهلا طول حياته ويتعذر عليه أن يجيد صناعة يكتسب بها رزقه فضلا عن إحساسه بالنقص وتكوين مركبه فى نفسه مما يقصيه عن المجتمع . وأعرف شابا بلغ العشرين من عمره ولكنه يهرب من أى إنسان يحاول الاتصال به لفقد كون لنفسه بما رآه فى صغره فكرة جعلته سيىء الظن بالمجتمع وأناسه .

ومن أكبر المشاكل التى يعانيها والده كيف يوفر له الحياة وسبل العيش فى الحال وفى المستقبل ؛ فالأب يعول همه وهو حى وبعد أن يموت ، ولم يدرك وسيلة يمهد بها لمستقبل هذا الابن الذى لا يحسن عملا وليس فى وسعه الانخراط فى مهنة .

(البقية على صفحة ٥٦٢)

فكرة وصورة ... !

للاستاذ عبد المجيد بن جلون

هذا خيالك قد برح ... نسى المحبة وانتزح
وهجرت أحلامى فلا ... طيف يزور ولا شبح
فكأن قلبى من كؤو ... س هواك يوماً ما اصطبح
وكأن روحى فى سما ... ئك يا فتاتى ما سبح
وكأن روض غرامنا ... بشذى الأزاهر ما نفح
وكأن بلبل حبنا ... بين الجوانح ما صدح
لم يبق بعدك يا فتا ... تى اليوم حزن أو ترح

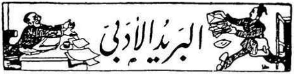
* * *

ألقيت فيك مشاعرى ... ووجدت فيك مثالها
إذ كنت صورة فكرتى ... فهويت فيك جمالها
فالصورة الحسناء منـ ... ـك أنا اكتشفت خلالها
والفكرة الحسناء منى ... صرت أنت خيالها
لكن عبثت بحسنها ... فعزمت عنك زوالها
إذ خنت رونقها الجميـ ... ـل وقدسها وكمالها
فسلبت حسنك فكرتى ... وبهاءها وجلالها

* * *

فإذا أتاك حنين شعـ ... ـرى فى النسيم السائر
وذكرت ماضى بهجتى ... أيام حبى النافر
وذكرت عهدك فى الدجى ... ذكر الحزين الساهر
فأنا أناجى فكرة ... لا صورة فى خاطرى
فالصورة الحسناء فانيـ ... ـة كأس الدائر
والفكرة الغراء خا ... لدة خلود الشاعر
كانت وسوف تظل مل ... ء خواطرى ومشاعرى

عبد المجيد بن جلون



حول كتاب (الزواج والمرأة):

إلى الأستاذ الكبير الشيخ محمود أبو العيون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد، فقد طالعت ملاحظاتكم القيمة على كتابى (الزواج والمرأة). وأبادر فأشكركم على كلماتكم الرقيقة التى تفضلتم فوجهتموها إلىّ ثناء على مجهودى فى الكتاب، ولقد تقبلت هذه العبارات على أنها وجهت إلى على سبيل المجاملة والتشجيع.

(بقية المنشور على صفحة ٥٦١)

ومثل هذا الأشكال موجود فى كثير من بيوتنا المصرية وغير المصرية ولا ندرى كيف نحله ولكن تهذيب هذا الجهاز ووضعه فى متناول الناس سيتيح فرصة تعليم الأبناء الصم؛ فهم حين يحسنون الكلام يحسنون القراءة أيضاً، وعندئذ تتفتح أمامهم أبواب الفنون والعمل فيعرفون ما يقوله المدرس أو صاحب العمل

وقد تيسر بوسائل أخرى مكافحة الصمم فخرج من أبنائه المهندسون والأدباء وأصحاب حرف شتى وهم يمتازون دائماً بدقتهم وحذرهم مما يعد نتيجة طبيعية لعلتهم.

ولم يزل هذا الجهاز فى مرحلة التجارب. وفى الولايات المتحدة الإمريكية وحدها مائة ألف طفل مصابين بالصمم الكامل وعن طريقه يرجو الإخصائيون تخفيف متاعبهم وجعلهم أعضاء عاملين فى مجتمعهم.

ومن البديهى أن الاستعانة بمثل هذا الجهاز ستوفر على كثير من الصم وتتيح لهم حياة أفضل حتى لا يكاد الإنسان يشعر بعلتهم، كما أنهم هم سيشعرون بأن العالم أقل غبنا لهم وأكثر ابتساما، ففى وسعهم بواسطته رؤية التمثيل والسينما وإدارة الأعمال بغير وسيط.

فوزى الشتوى

بقى أنكم أشرتم فى رسالتكم أنكم كنتم تودون أن أبلغ نهاية الشوط بجلياً، فلا أغلو فى الدعوة إلى منع تعدد الزوجات منعاً باتاً لأى سبب من الأسباب، ولاحظتم علىّ أننى أخطأت فى فهم آيات القرآن، فربطت بين آيتى العدل فى النكاح «وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» لأصل من ذلك إلى حد كاد يلغى معه هذا الحق أصلا

وأبادر فأقول إننى ما نازعت أبداً فى حق المسلم فى الزواج بأكثر من واحدة بمقتضى الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، ولقد قلت فى بدء الفصل الخاص بتعدد الزوجات ما يأتى بالحرف الواحد: «لا جدال فى أنه من حق المسلم بموجب نصوص القرآن وسنة الرسول والصحابة ما جرى عليه إجماع المسلمين فى فترة من الزمان أن يتزوج أكثر من واحدة، وأن يتزوج اثنتين وثلاثاً وأربعاً»

وهذه العبارة صريحة وقاطعة، فلا تحتمل شكا ولا تأويلا فى أننى أعترف للمسلم بحقه فى الزواج بأكثر من واحدة بمقتضى الكتاب والسنة، ولكننى بعد ذلك رحت أبحث الكتاب من الناحية العملية فى وقتنا الحاضر، وأن التعدد فى بلادنا قد أوجد مفاسد كثيرة وعمل على تفكيك روابط الأسرة إلى درجة أصبحت تهدد المجتمع المصرى ما جعل الإمام المصلح الشيخ محمد عبده يدعو إلى منع تعدد الزوجات عملا بالقاعدة الشرعية «لاضرر ولاضرار».

وإذن فقد ناقشت الموضوع، لا من حيث الشريعة، ولكن من حيث الضرورات الاجتماعية فى وقتنا الحاضر. واستندت فيما دعوت إليه إلى روح التشريع الإسلامى التى تهدف فى هذا الأمر إلى التضييق، وتعتبر كل تقليد فيه فضيلة بحيث يمكن القول بأن تحديد الزواج بواحدة من أهم الأغراض التى تقرها الشريعة الإسلامية وتستحبها.

وقد سقت على ذلك الأدلة القاطعة التى تظهر روح الشريعة الإسلامية ورغبتها فى الحد من هذا الحق واستعماله. وقد أشرت فى آخر البحث إلى إمكان إعادة النظر فى قانون تحديد الزواج والعودة إلى إباحة التعدد متى حتمت ذلك الضرورات الاجتماعية، فقلت بالحرف الواحد: «فإذا تخيلنا ما يشيرون إليه دائماً من

حدوث نقص فى عدد الرجال خطير ، بحيث يصبح عددهم نصف عدد النساء ، فإنه من الممكن فى مثل هذه الحالة الشاذة أن يعاد النظر فى قانون حظر الزواج بأكثر من واحدة ... فليس هناك ما يمنع تطور القوانين الاجتماعية بحسب الظروف والأحوال ، وهذه هى روح الشريعة الإسلامية »

وظاهر من ذلك أننى لست ممن ينكرون حق المسلم فى الزواج بأكثر من واحدة بمقتضى الشريعة الإسلامية ، وإننى لست ممن يغالون فى منع التعدد لأى سبب من الأسباب ، وكل ما هنالك أننى أرى فى ظروف مصر الحاضرة ما يجعل حظر التزوج بأكثر من واحدة من الأمور المرغوب فيها لإصلاح المجتمع وتثبيت دعائم الأسرة المصرية .

أما فى موضوع الطلاق ، فإننى على رأيى من أنه يجب أن يتم فى حضرة القاضى على أن يكون القاضى ملزماً بالحكم به بعد أن يعجز عن التوفيق بين الزوجين . لقد كان القدامى يعرفون قيمة الكلمة ، أما اليوم وقد انحلت الأخلاق ، فقد أصبح من الواجب ألا نجعل انحلال الأسرة وقفاً على كلمة يقولها شخص ما فى حالة غضب أو نزق ، وأحسب أن الشريعة الإسلامية التى تقرر أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ، لا تأبى بحال من الأحوال أن يكون الطلاق على يد القاضى

وأنتهز هذه الفرصة لأقدم لفضيلتكم وافر شكرى وتقديرى ، وتفضلوا بقبول عظيم احترامى .

أحمد حسين

أمل الفلاح :

نشرت مجلة « الرسالة » فى عددها ٦٧٠ هذه القصيدة التى نالت الجائزة الأولى فى مسابقة الشعر البريطانية ، وهى قصيدة جيدة ترفع من قدر ناظمها ، وتشهد بعدالة المحكمين فى المسابقة وفهمهم للشعر ، غير أنه عن لى فيها مأخذان جديران بالملاحظة : الأولى فى قوله :

وما سرى فى أفقه كوكب إلا وغض الطرف من تحته

فإن إقحام الواو بعد إلا لا تجيزه العربية ، لأن جمهرة العلماء مجمعون على أنه إذا أتى بعد إلا فعل ماض امتنعت الواو من الدخول عليه ، ويشهد لهم قول الله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) ، وقوله : (وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزئون) ، وقد حكموا بالشذوذ على قول الشاعر :

نعم امرءاً هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع به وزرا

والأخرى فى قوله :

واسقوه عذب الماء لا آسنا يرنق (المكروب) من كأسه

فإنهم نصوا على أن (لا) إذا وقعت بين الصفة والموصوف وجب تكرارها قال ابن هشام فى كتابه (مغنى اللبيب) ص ٣٤٦ ج٢ مانصه :(وكذلك يجب تكرارها إذا دخلت على مفرد خبراً أو صفة أو حال لا نحو زيد لا شاعر ولا كاتب ، ونحو جاء زيد لا ضاحكا ولا باكيا ، ونحو إنها بقرة لا فارض ولا بكر . وظل من يحموم لا بارد ولا كريم . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) .

ومهما يكن من شيء ، فإن مثل هذا لا يغض من جمال هذه القصيدة وروعتها .

على جلال الدين شاهين

الملك :

قال لى صديق أمريكى وفد على مصر فى غضون هذه الحرب : « إن الملك قد أصبح على يد ملككم الشاب فناً جميلا ، فقد جمع بين القدوة والمثال »

ذكرت هذه العبارة يقولها رجل تذكى الغربة فى نفسه كوامن التطلع وأنا أكاد أفرغ من دراسة ديوان الشاعر المصرى محمود حسن إسماعيل « الملك »

وما نستطيع أن نضع هذا الديوان مع دواوين شعراء المديح ، وهى فى العربية أكثر من الكثير ، فلم تتغن شاعرية محمود فى جلالة الفاروق لأنه « ملك » ، ولكنها تغنت بها لأنه « الملك » أى « القدوة والمثال » ، وأغلب الظن أنه فطن إلى هذا ساعة هدته فطرته إلى عنوان ديوانه ...

وما نستطيع كذلك أن نسلك هذا الشاعر المصرى وهو يسجل آيات المصرى الأول مع شعراء المناسبات ، وهو إنما كان المصرى الشاعر الذى استطاع أن يقول ما يريد أن يقوله كل مصرى فلا يستطيع !

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يصعد إلى أسوان ويجوس بين مصريين أضناهم المرض والإهمال فواساهم ونبه إلى العناية بهم وبأمثالهم ؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك ينزل كالغيث فى الصحراء على الأعراب البائسين فى مضارب خيامهم يسعد فقيرهم ويبرى سقيمهم

ويحمى فيهم كيان الأسرة ، وهو يمنح الهبات للراغبين فى الزواج؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يلتفت إلى هؤلاء الذين أدمى الحفاء أقدامهم ، فكانت نداء بالعدالة الاجتماعية ويقظة الشعور الإنسانى بهؤلاء المكدودين العاملين ؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يمد جناحه على الناقهين لا تستطيع المصحات إيواءهم فيمدمون الغذاء والمأوى ؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يكرم النوابغ من شباب المتعلمين ، فيدعوهم إلى قصره ويحفزهم على إذكاء شعلة العلم النافع والعمل الصالح ؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يوم تداعت الحدود القديمة وتهيأت الوطنية العربية للنهوض ، فكان أول من حمل لواءها وجاهد فى سبيل تحريرها ، فرأينا أرزة لبنان تغرس على ضفة وادى النيل وتحت شرفة الفاروق ؟

فإذا لم تتحرك شاعرية المصرى العربى محمود حسن إسماعيل بآيات المصرى العربى الأول ، ففيم تتحرك إذن وبمن تشيد ؟ !

ويقول بعض الأدباء الذين يغلب النقد على فطرتهم : ما لهذا الشاعر يكثر من ذكر النبت من زهر وثمر ، والأرض من نجاد ووديان ، والماء من نبع وغدير ؟

بل ماله يسرف فى ذكر الخمر وكئوسها وأكوابها ؟ وماله يسرف فى ذكر النيل والهرم ؟

حسب أولئك وهؤلاء أن يعلموا أن هذه الوحدات التعبيرية لم تقصد لذاتها ، وإنما قصدت للدلالة على وطن أو حالة نفس ، فهى رموز مشهورة ودلالات معروفة ، وإليك مثالا واحداً : القصيدة التى عنوانها «فاروق» ، فقد أورد فيها كثيراً من هذه الرموز ووضعها فى مواضعها الدالة عليها ، ولا على الشاعر إذا وقع على الرمز المشهور ، وقد تجلت عبقريته فى تأليف الصور وجمع الأحاسيس وعرض المعانى ، وفى ذلك تتفاوت عبقريات الشعراء ، بل وفيه تتفاوت آثار الشاعر الواحد بتفاوت موضوعه وانفعاله.

ومن الإنصاف أن نقول : إن شاعرنا كان شاعر الأمة المصرية العربية بهذا الديوان ، وإن هذا الديوان ليس من دواوين المديح ، كما يظن الأغرار ، وإنما هو من دواوين الوطنية الصادقة

عبد الحميز يونس

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

العرب فى أندونيسيا وموقفهم من القضية الأندونيسية :

يقطن بلاد أندونيسيا عدد كبير من العرب نزحوا إليها منذ عهد بعيد من جنوبى جزيرة العرب ، وقامت بينهم وبين أهل تلك البلاد علاقة وثيقة تقوم على أساس الأخوة الإسلامية الوطيدة ، ووقفوا إلى جانب إخوانهم الأندونيسيين تجاه أحداث الزمن خيرها وشرها .

إن رسالة العروبة والإسلام رسالة واحدة هى رسالة المساواة والعدالة والحرية والمثل العليا للانسانية ، فلما قامت أندونيسيا تناضل عن سيادتها واستقلالها وقف العرب هناك إلى جانب إخوانهم الأندونيسيين فى هذا النضال ، وهم الآن فى الجيش الأندونيسى يخوضون معهم غمار المعارك تحت علم واحد ، وفى سبيل غاية واحدة ، كما أكد لنا ذلك أعضاء الوفد الأندونيسى عند اجتماعنا بهم فى القاهرة قبل سفرهم إلى هولندا . ولا غرو فإن الهدف الذى يجاهد أندونيسيا فى سبيله هو هدف كل عربى وكل مسلم أينما كان على وجه الأرض ، بل هو هدف كل إنسان يؤمن بالحرية الإنسانية الحقة .

وقد سبق للعرب فى أندونيسيا فى مؤتمرهم الذى عقد بمدينة « سولو » بجاوة فى شهر مارس ١٩٤٦ أن وجهوا إلى سعادة الأمين العام للجامعة العربية ، وإلى الدول العربية نداء طلبوا فيه تأييد أندونيسيا والاعتراف بجمهوريتها .

ونحن نكرر هنا هذا النداء إلى جميع الدول العربية ، فإنها أحرى من يبادر إلى تأييد أندونيسيا والاعتراف بحكومتها الجمهورية

عرب أندونيسيا بمصر



يوميات جينفييف

للكاتب الفرنسي مارسيل بريفو

عضو المجمع اللغوي الفرنسي

بقلم الدكتور محمد غلاب

٢ – المواسى :

٢٦ مايو

ها أنذى منفردة هذا المساء أيضاً شأنى فى كثير من أمسية هذا العام ، فأين راءول الآن ياترى ؟

لم أسأله هذا السؤال ، لأنى تعبت من كثرة الكذب المستمر السهل على لسانه ، ومن تشابه الجواب دائماً ، وهو « إنى ذاهب إلى النادى ، بيد أنه ينبغى أن أكون مخلصة ، ففى هـذا اليوم وضع نفسه تحت تصرفى وعرض علىّ أن أصحبه إلى منزل أحد أصدقائنا حيث تمثل رواية « الضابط » الهزلية ، ولكنى علمت ان الآنسة « دى جيڤيرنى » ستمثل فى هذه الرواية دور « الساذجة المصرية » وهذا النبأ سلبنى كل رغبة فى مشاهدتها . أما راءول ، فهو لا ريب ذاهب اليها ، وكذلك مدام ديلافو من غير شك . وفى هذه اللحظة هو بجانب إحداهما ، وهو يلقى على صدريهما تلك النظرة التى هى مزيج من إعجاب وسخرية ، والتى يلقيها دائماً على النساء اللواتى يشتهيهن ولا يحترمهن ، أما أنا ففى الوقت الذى كان يحبنى فيه لم يكن يلقى علىّ مثل هذه النظرات الساخرة ، ومع ذلك فلا ينبغى أن أفكر فى شىء من هذا ، إذ لدىّ ما يعزينى وينسينى كل شىء ، وهو طفلى العزيز ، ولقد أذنت لمربيته الليلة فى أن تتنزه ، وإذاً ، فأنا التى سألاحظه فى سريره .

إن رينيه نائم الآن على ظهره ، وهو يضغط شفتيه ، ويزقزق من حين إلى آخر كالعصفور الصغير ، فيجب ألا نوقظه ، لأنه إذا استيقظ من نومه الأول لا يغفو إلا حين يجىء موعد نومه الثانى إذ أنه ينام بنظام وفى أوقات معينة .

إن مربيته تقول لى إن الناظرين إليه فى الحديقة العامة يقدرون له أكثر من سنه ، ولعلها تقول ذلك لتسرنى ، لأننى أتمنى أن يكون أطول الأطفال وأقواهم وأجملهم وأذكاهم من غير استثناء ، إذ هـذه كبرياء الأم وأنانيتها ، وهى كبرياء مباحة وأنانية مشروعة فيما أعتقد .

ما ألذ لغة رينيه المكسرة على مسمعى ! ولقد تقدمت صحته قليلا منـذ بضعة أيام ، ومع ذلك فالطبيب يجىء ليعوده فى كل صباح . واليوم لم أستطع أن أحصـــل منه على جواب صريح يطمئننى على صحته كما كنت أرجو . وكلما أفكر فى ضعف صحة هذا المخلوق المعبود وأتخيل أن حمى خبيثة تستطيع أن تختطفه منى فى بضع ساعات ، أسير على أتم استعداد للجنون ، وعلى أثر هذا الخيال أنتصب واقفة وأجرى إلى مهده دون أن أشعر ، ولا أطمئن إلا حين أرى تنفساته تحرك الغطاء بنظام ، أو أرى فمه الحالم يلوك فى هدوء لغة النوم . وفى أثناء هذا كله ، وحين أكون ساهرة بالقرب من سرير طفلى يكون راءول مشغولا بالحصول على وعد من مدام ديلافو ، أو بمحاولة الاختلاء بالآنسة جيڤيرنى لأن الأمر انتهى بى إلى أن أومن بأن هذه المنازلات لم تعد بريئة طاهرة ، فتجاربى الشخصية من ناحية ، وآراء والدتى من ناحية أخرى قد أزالت من نفسى تلك السذاجة التى كانت تغشيها إلى عهد قريب . لقد كانت والدتى تقول لى دائماً : « إذا لاطف زوجك سيدة ، فكونى على يقين من أن الفرق بين المنازلة والخيانة هو منحصر فى غيبة الإمكان المادى ، فإذا تيسر هـذا الإمكان زال ذلك الفرق » . آه من المنازلة ! تلك الكلمة المرعبة المنافقة التى تخفى تحتها كثيراً من المزعجات التى كلما أسمعها تُنطق أمامى أرتاع كما لو أنى أسمع إحدى الكلمات الوقحة الجارحة .

لكى أمضى الساعات التى سأقضيها ساهرة إلى جانب سرير الطفل ، دخلت حجرة تدخين زوجى التى يستقبل فيها أصدقاءه

الأخصاء ، لأتصيد منها بضع صحف أو مجلات أتلهى بها ، فوجدت « الفيجارو » و « جيل بلاس » و « الجولوا » و « الكلمة الحرة » فجمعتها ، لأتصفحها . غير أن راءول — لتفريطه فى النظام وإفراطه فى حسن النية — كان قد ترك حلقة مفاتيحه معلقة فى درج المكتب ، ولكن هل فتنتنى هذه الفرصة نخطر لى أن أتعقبه ؟ حقاً إنى لا أعتقد ذلك ، بل إن الذى استولى علىّ فى هذه اللحظة هو حب الفرار من هذه الفتنة فنجوت بنفسى نقية اليدين وعدت إلى حجرتى . وفى الحال دعوت الخادم جوزيف وهو أخاص الخدم إلى زوجى ، لأنه فى خدمته منذ أن كان صبياً ، وهو لهذا كان يعادينى ، فلما جاء أمرته أن يأتينى بالصحف فأتى بها ونزع المفاتيح ، وهذا هو الذى كنت أقصده لأنجو من هذه الفتنة الأخلاقية .

فلنقرأ الصحف لنتسلى بها إن بعض هذه الصحف تضايقنى لأنها جدية جافة ، أما البعض الآخر الذى يستعذبه شباننا من الإخوة والأزواج فهو ما لا أتذوقه ولا أفهمه . وهناك عدد من الصحف تؤلمنى مطالعته لأننى أرى فيه تشويه الأخلاق أو جرح الفضيلة . ومن هذا النوع الأخير هذه الصحيفة التى يقول عنها راءول إنها تُعْنَى بأخبار النوادى والحفلات ، وأنباء النساء الماجنات . وفى الواقع أنها كذلك حيث أرى الآن فيها هذا العنوان « الرجل الذى قتل كلبه بعد موت زوجته » . ولاشك أنى لا أفهم هذا النوع الشائك من الأخبار ولا أستحسنه . وهناك نبأ آخر فى هذه الصحيفة يحدثنا أنه قد لُحِتْ أمس فى غابة بولونيا الآنسة « إرماديكاوزبيه » و « مارجريت ديبورجونى » و « ميس شامپانى » . ولست أدرى أى شخص يعنيه هذا النبأ الذى استنفد إثنى عشر سطراً ؟ لا ريب أنه يعنى عشاق هاتيك النساء ولا بد أن يكونوا كثيرين حتى تكترث هذه الصحيفة بارضائهم . فأما السياسة فسنتخطاها ، ولننظر حالا فى الحوادث المختلفة . ها هو ذا نبأ عنوانه « سيدة غيورة تطلق المسدس على زوجها » . مسكينات تلك الزوجات ! إنهن فى جميع الطبقات من أعلاها إلى أدناها هن المهجورات ، ولكن كيف يستطعن التصميم على قتل من أحببن ؟ ! .

والآن لنلق نظرة على رسائل القراء التى يتخاطبون بها عن طريق الصحيفة ففيها شىء من التسلية ، لأنها تحوى طائفة كبيرة من المآسى والمهازل .

وبينما أنا أقرأ فى هذه الرسائل ، إذ رأيت الدنيا تضطرب فى عينى فجأة ، وأحسست كأن قلبى يتشرب كل ما فى جسمى من دم ، وسقطت الصحيفة من يدى ، ومال جسمى على المقعد بعد أن فقد توازنه الطبيعى . وظللت كذلك ساعة من الزمن ، فلما عدت إلى نفسى تناولت الصحيفة من جديد وحدقت فى نفس السطر الذى قلبت كيانى مطالعته ، وهو يشتمل على ما يلى : « ر . — سرور ! غداً مساء (السبت) . إنى نجحت فى أن أتخلص من هذا الريف المزعج ، وسأكون فى العش المختار فى الساعة العاشرة مساء ، ولكن لا تجئ إلا إذا كنت قد صممت على أن تكون عاقلا « الأمضاء » سوز » .

لماذا اقتنعت فى الحال ولأول وهلة أن حرف الراء رمز لراؤول زوجى ، وأن سوز هى سوزان ديلاڤو ؟ فأما التعقل المنطقى فليس فيه ما يؤيدنى فى هذا اليقين ، إذ لا أعرف أن مدام ديلاڤو غائبة عن باريس ، بل إننى قلت لراؤول محاولة المزاح قليلا : إنك سترى فى حفلة الليلة سوزان الجميلة ، فابتسم ابتسامة لم تلبث أن اختفت خلف لحيته السوداء ولم يحاول الدفاع عن نفسه .

فهل كان يجهل غيابها أو كان يسخر منى ؟ لا أدرى ، ولكن الذى أنا واثقة منه هو أن هذه الرسالة الصغيرة موجهة إل راؤول من مدام ديلاڤو ، وأنى موقنة بهذا إيقانا لا يقبل الجدل وعن طريق خفى . إنى أعيد قراءة تلك السطور المرعبة كلمة كلمة ؛ وإن كل عبارة من عباراتها تبدو لى كأنها كائن حى . يالله ! إنها مبدوءة بهذه اللفظة الماجنة : « سرور » حقاً إنه لسرور لها حينما تنفلت من زوجها معتذرة إليه لا أدرى بأى كذب ، لتاتى بنفسها بين أحضان أدنأ الجرائم وأشنعها ... سأكون فى العش المختار ... ! . إننى محتفظة بعواطفى ، ومع ذلك فلم أستطع أن أمنع نفسى من البكاء . « العش المختار ! » إذاً ، إن ما كنت أخشاه منذ زمن لحق ، وإنه لحق أيضاً أن

الرجل الذى منحته نفسى بوساطة الزواج يستمتع بحب فى باريس، وفى منزل آخر غير الذى أعيش فيه أنا وطفلى . غير أن الجملة الأخيرة من هذه الرسالة وهى : « لا تجئ إلا إذا صممت على أن تكون عاقلا » . هـذه الجملة — على ما بها من رفع الكلفة القزز — تركت فى نفسى شيئاً من الأمل ، إذ لو أنها تحبه لما قالت له هذه الكلمة . ها هى ذى حاضنة الطفل قد عادت من دار التمثيل ، فلنرسلها إلى غرفتها لتنام ، أما أنا فسأقضى الليلة هنا إلى جانب مهد ابنى ، ولعل وجودى بجانبه يحول بينى وبين اليأس ، وأما راؤول فلا أستطيع أن أراه اليوم مطلقاً . أوه يا عزيزى المواسى الصغير ! .

٣ — الفلو :

٢٧ مايو

مبدأ حزن ليوم حزين ، فالسماء تمطر ، والمطر الحزين يتفق مع ما أنا فيه الآن من حزن وألم . وكل شىء يثقل كاهلى وجميع العوامل السيئة قد تكاتفت على إنهاكى ، إذ أن الطفل قد أمضى ليلة سيئة وكان فى نهايتها شديد الهياج ، مرتفع الحرارة وإن كانت حالته قد تحسنت قليلا فى هذا الصباح . وأنا أنتظر الدكتور « روبان » بفارغ الصبر . أليس ذلك كثيرا على يا إلهى ؟ أو ليس فوق طاقتى أن ترسل إلى هذه المحن الأخرى على أثر الأولى ؟ لأنى الآن لم أعد أشك فى صحة ما ظننته ، إذ قد سألت راءول فى هذا الصباح بعد أن حاولت أن أكون هادئة فقلت : هل مدام ديلافو كانت أمس فى تلك الحفلة ؟ فتردد لحظة قبل أن يجيبنى ثم قال : « لا أظن ذلك ، لا ، إنها لم تكن هناك يقينا » .

ولكنى ألححت قائلة : « هل كانت غادرت باريس ؟ » فلما سمع هذا السؤال ظهرت على وجهه حركة جزع ثم قال فى غضب : — لا أدرى يا صديقتى العزيزة ! وهل أنا حارس مدام ديلافو ؟ ومع هذا فإنى أتوسل إليك ألا تحدثينى عن هذه الإنسانة التى تبغضينها ولا أدرى لماذا ، لاسيا وأنها تحرص دائما على أن تكون فى حضرتك غاية فى الكمال .

فى هذه اللحظة أحسست بألوان من الحقد تتجمع فى نفسى حتى منعتنى من أن أجيب على عبارته الأخيرة ؛ بل إنى لم أرد أن أنبئه بقلقى على الطفل ، فليكن ما يكون ، وليعبث كما يشاء ، ولينغمس فى اللهو خارج المنزل ، فأنا أريد أن أحمل مفردة عبء قلقى ، والطفل لم يعد ابنه فسأتولى وحدى شؤونه .

كانت الساعة العاشرة صباحا حينما دخل الخادم إلى غرفتى وأنا غارقة فى هذه الهموم ومعها علبة مليئة ببعض المشتريات ، ونبأنى أن عاملا من أحد المتاجر الكبيرة التى نعاملها قد حملها إلى المنزل وكلفها إيصالها إلى ، ثم قالت الخادم : إن العامل منتظر خارج الباب ، لأنه ليس متأكدا أن هذه العلبة مرسلة إلى سيدتى ، فتناولتها فإذا عليها هذا العنوان : « مدام دى بواستيل » رقم ١٣ شارع فيزيليه .

هذا هو اسمى ، ولكننى أنا أسكن « فوبورسان أونوريه » لا شارع فيزيليه ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن اسمى فى هذا المتجر « الكونتيس دى بواستيل » تبين أن فى الأمر شيئا أو أن هناك خطأ ، فدعوت العامل وقلت له :

— إننى لم أوص بشىء من متجركم ، فاحمل هذا وانصرف لأنى لا أدرى ما هو .

— يا سيدتى : نحن شككنا كذلك ، وظننا أن هناك خطأ ، لأن عنوان سيدتى عندنا ، بيد أن سيدى الكونت هو الذى جاء بنفسه فأوصى بهذا الطلب وأعطانا هذا العنوان؛ ولكن بما أنى ذهبت إلى شارع فيزيليه فلم أجد أحدا فى المنزل الذى عينه لنا ··· وفى هذه اللحظة امتقع لونى ، فأدرك العامل أنه اقترف غلطة كبرى ، فصمت فجأة ، لأنه فهم كل شىء ، فتحاملت على نفسى وقلت له : حسن ما تقول ، ولكن احمل هذا فإنه ليس لى . قلت ذلك للعامل وانزويت فى غرفتى واستسلمت إلى البكاء .

وهكذا بعثت المصادفة إلى بسر زوجى، فأنا كنت أعرف أن مدام ديلافو قد حددت هذا المساء لاجتماعها به . والآن أعرف كذلك أين مكان هذا الاجتماع ، إذ أن راؤول قد بلغ به الاستخفاف إلى حد أنه لم يحاول إخفاء اسمه فى هذا المنزل الذى اختاره للخيانة الزوجية . ولا ريب أن شريكته فى الجريمة تدعى فى ذلك المنزل بالكونتيس دى. بواستيل ، فاذا يجب على أن أعمل ؟ أليس من واجبى أن أحول بين زوجى وبين الإجرام ؟

نعم قد كنت فيما مضى أتمعض من أن أقوم بتحقيق هذه الخيانة وأن أتعقب الجناة ، ولكن ما الذي يمنعني الآن من أن أنذره ومن أن أجاهد ضد هذه المرأة ، لأصرفه عنها ؟

إنني أستطيع حين يعود راؤول للغداء أن أقول له : إني عرفت كل شيء ، وأن أشرح له المصادفة التي أنبأتني بالرغم مني. أجل سأشرح له ذلك ، ولكنه سينكر ، فقد تعلم الكذب بمعاشرته تلك المخلوقة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فأنا أصبحت لا أحسن المناقشة معه ، ولهذا أخشى أن تنتهي المسألة بمشهد عام . وعلى أثر ذلك سيخرج من المنزل جاذبا الباب وراءه بقوة كما هي عادته ، ثم يذهب ليتمشى في النادي ويتجه بعد ذلك إلى شارع فيزيليه ، ليلتقي بعشيقته . فمن الخير إذاً ، ألا أقول له شيئا وأن أسبقه إلى ذلك المنزل فأقفه أمام الأمر الواقع بين زوجته وعشيقته ، وإذ ذاك لا يستطيع أن ينكر ، وله في تلك الساعة أن يختار بيني وبينها . ولكن ما أفظع الانتظار في الطريق وما أشنع تلك المقابلة وإن كانت هي الواجب !

الساعة الثانية بعد الظهر من اليوم نفسه :

— لقد جاء الطبيب ولم يطمئني على صحة الطفل فحالته سيئة ودرجة حرارته مرتفعة وهو يبكي ويرتعد ، وكلما ألمس أي عضو من أعضائه الصغيرة أجده يتصبب عرقا . ولقد سألت الطبيب قائلة : هل هو في خطر ؟ قل لي الحقيقة ، إنني أريد أن أعرف .

فهز رأسه وظهرت عليه علائم الشك ثم قال :

— خطر ... يا إلهي ... أنا لا أدري ... في هذه اللحظة هو محموم ، وهذا كل شيء ، والحمى يمكن أن تذهب كما جاءت .

فسألته قائلة :

— وإذا لم تذهب ؟

— أوه ! إذا لم تذهب ، فإنها ستتطور إلى مرض من أمراض الأطفال مثل الحصبة أو الحبوب القرمزية .

— إني آمل على الأقل أن لا يكون الجدري .

الجدري ! هذا هو الذي يروعني ، إذ قد قرأت في الصحف هذا الصباح أن ذلك الوباء قد بدأ يقل ، ولكن لا يزال له ضحايا . فهل الإله الذي سلب من تلك الأمهات المسكينات نعمة سرورهن وهي أطفالهن ، سيعافيني أنا من هذه الكارثة ؟

إن الطبيب لا يعرف ماذا يقول ، ولهذا ينطق بمثل الكلمات التي أنطق بها لأسلي بها نفسي ، وهي : أن الطفل في صحة حسنة ، وأن مرضه إلى الآن ليس خطرا ، ولكن من المؤسف أن كل ما يقال لي لا يطمئنني .

اليوم لم نكد نتحادث على مائدة الغداء ، ومع ذلك فقد لاحظت على راؤول اتجاها حسنا ينعطف به نحو الاستسماح وكأنه كان يقوم بمجهود ، لأغفر له سوء المزاج الذي ظهر منه في هذا الصباح أو الخيانة التي ينتويها في هذا المساء ، وقد سألني قائلا :

— هل الطفل أحسن حالا ؟

فأجبت قائلة :

— لا ، بل بالعكس ، إن ليلته كانت سيئة ، وإنني لقلقة .

قلت هذا والدموع تطفر من عيني غضبا بقدر ما كانت تطفر حزنا . فلما رأى هذا نهض واقفاً وأراد أن يقبلني ، وإذ ذاك تذكرت تلك المرأة التي يلمس خديها وشفتيها أيضا ، فابتعدت سريعاً مدفوعة بغريزتي ولم يلمس مني إلا شعري ، فعاد إلى مقعده ولاحظت عليه في هذه اللحظة أن لونه صار شديد الإمتقاع ، وتملكه الانفعال حتى كسر قاعدة كوبته ، ثم ظللنا ساكتين إلى أن انتهى الغداء . وعلى أثر ذلك ، وفي نفس اللحظة التي أخذ يشعل فيها لفافته صعدت إلى حجرة الطفل .

كن رؤوفا بي يا إلهي وساعدني وامنحني الثقة والشجاعة اللتين تمنح المرأة المتدينة إياهما في وسط ما تبتليها به من أحزان ، فأنا أشعر في قرارة نفسي أن قوتي لا تكفي لمقاومة هجوم كل هذه القلقات ، وأنا أعلن ضعفي وانهزامي أمام هاتين المحنتين ! يا إلهي اعف عني ، فأنا لا أعرف إلا شيئا واحد وهو أني أسألك أن تنجيني منهما كلتيهما ، فليس عندي من الشجاعة ما يجعلني احتمل أن يسلب مني راءول وربيبه ، وإنني أفضل أن تمحقني أنا ، لأني عديمة النفع في هذه الدنيا ، ولأن أقدم اليك حياتي عن طيب خاطر خير من أن أقدم أمانة زوجي أو صحة طفلي .

(يتبع) محمد غلاب